المشرق

السنة الحادية والستون
تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٦٧

الخوري حنا طنوس

رائد الادب المسرحي في الشرق العربي

بقلم اميل ابي نادر

مقدمة

او ليس من العسير حصر الخوري حنا طنوس : الشاعر ، والخطيب ، والكاتب ، والواعظ ، واللاهوتي ، والاديب ، وما زخرت به شخصياته المتعددة المتكاملة ، من مواهب وخصائص وثروات ، في دراسة واحدة ؟

بلى . ان ذلك لمستحيل .

فالخوري حنا طنوس

نظراً لثقافته العامة الشاملة

ونظراً لسعة اطلاعه على مختلف العلوم والفنون الادبية ،

ونظراً لتضلعه من اللغات العربية والاجنبية وادابها ،

ونظرًا لقضائه نصف قرن . يهذب اخلاقاً ، ويهدي ضمائر ، ويرشد نفوساً ، ويصقل عقولا . ويشحذ ادمغة . واعظاً . وخطيباً ، ومعلماً وشاعرًا . ومؤلفاً مسرحياً ،

وهب المكتبة العربية من نتاجه الادبي — وان قل المطبوع منه — ثمارًا يانعات ، جعلته بين ادباء النصف الاول من القرن العشرين احد اشرق الوجوه ، واحبها الى القلوب ، واغناها مادة للدرس والبحث والتحليل .

وعلى ذلك ، لم يتناوله كاتب ببحث . ولم يخصه اديب بدرس ، حتى ليكاد النسيان يغمر اسمه ، والاهمال يطمس اثاره .

لذلك . آليت على نفسي . احياء لذكراه ووفاء لبعض فضله ، ان اعد هذه الدراسة التي — اعترف واقر — لا تتضمن الا خيوطاً من حياته ، وخطوطاً من مواهبه وعبقريته ، آملاً ان اكون بذلك قد اثرت مواضيع لابحاث ، وفتحت مجالات لدراسات اوفى واشمل واكمل .

واذ ازف . بكل تواضع ، هذا الاثر ، الى من عرفوا الخوري حنا طنوس ، تذكيرًا به ، والى من لم يعرفوه ، تشويقاً لمعرفته في اثاره ، اسأله تعالى ، ان يؤهلني — والفن التمثيلي ، هذه الايام ، في مراقي النمو والازدهار — لان اعد دراسة خاصة عن مسرحه .

فادبينا الفذ ، الذي يكاد يصبح نسياً منسياً . هو احد اشهر اعلام الفن المسرحي . وابرز رواد الادب التمثيلي في النصف الاول من هذا القرن .

هذا املي ورجائي

فلا ضاع رجاء ولا خاب امل .

بيروت في ٢٩ / ٦ / ١٩٦٧

اميل ابي نادر

الخوري حنا طنوس

مولده : نشأته : حياته

الا اذكروني اذا ما شمسكم طلعت — عند الصباح باعلى قمة القنن
الا اذكروني اذا ما شمسكم افلت — عند المغيب بمرأى باهر حسن
الا اذكروني اذا اسيافكم لمعت — يوم الوغى فوق هام الصانعي الفتن
قولوا السلام على من عاش منشغفاً — في حب لبنان طول العمر والزمن
منّي السلام على لبنان في المي — منّي السلام على لبنان في كفني

هذه بعض ابيات للخوري حنا طنوس من احدى قصائده الرائعات قاذا على لسان احد ابطال مسرحياته «يوسف بك كرم» في سويعة من سويعاته الملهمات. فمن يكون هذا العلامة اللبناني الذي قضى حياته كل حياته : يعلم ، ويهذب ، ويرشد ، ويؤلف ، ويعظ ، ويتغنّى بلبنان وامجاد رجاله وابطاله ؟

اأكتب عن الكاهن الاكمل الذي ادى رسالة سيده . بالايمان ، والتواضع والمحبة ؟ او عن المعلم الامين الوديع حجة لغة وبلبل منابر ، جامع ثقافة الشرقيين الى ثقافة الغربيين والطابخ من تفاعلها فيه وتلاقحها ثقافة لبنانية عربية ؟

اأكتب عن الدكتور في الفلسفة واللاهوت والشاعر المحلق ؟ او عن امير المسرحية الذي احيا من دفائن التاريخ ابطاله المغاوير ورجاله المشاهير فخلدهم على المسارح في تمثيليات رائعات خالدات ؟

اأكتب عن الاستاذ المحبوب الذي هذب العقول في جيلين كاملين فافلطها وسقرطها حتى استوت فيا بعد على السدرة في الثقافة والعلم والآداب ، فكان تلاميذه مشاعل عبقرية ورجولة ووطنية وانسانية ؟

ليس من اليسير على من لم يعايش الخوري حنا طنوس في مختلف مراحل حياته وتطوراتها ان يصور شخصيته وما ذخرت به من نبوغ وعبقرية ومواهب وثروات عقلية . ومات في تكتم وصمت صباح نهار السبت في

٢٣ اذار عام ١٩٤٦ ودفن في شبه تكتم وصمت . ويكاد ينعكب النسيان حول اسمه . لولا قلة من القادرين لفضله الذين لا تزال تختلج في قلوبهم بقية من دماء ووفاء او تلاميذه القدامى الذين يذكرون له مواقف ومواقف ؛ ويرددون من نوادره كل طريف . ويستعيدون ما لا يزال حياً في ذاكرتهم من قصائده المبعثرات ومسرحيته المتفرقات .

والخوري حنا صنوبر قد لا يكون اشعر شاعر . ولا اخطب خطيب . ولا اعمق من تبحر في العلوم اللاهوتية ولا اقدر مؤرخ . ولا اعمق باحث في الآداب العربية ؛ ولا اشهر اديب . ولا ابلغ كاتب . ولا اعمق مفكر ؛ ولا انبغ رياضي . ولا افضل مؤلف مسرحي .

ولكن ان يكون الخوري حنا شاعرًا . وخطيباً . ومؤرخاً . واديباً ؛ وكاتباً . ومفكرًا ؛ ولاهوتياً . ورياضياً ؛ ومؤلفاً مسرحياً . وان تتوافر في شخصيته وتتآلف مواهب الخطابة والشعر والادب والرياضة والتأليف المسرحي ؛ فذلك ما جعله احد اشرق الوجوه في ادبنا العربي المعاصر واحبها الى القلوب ؛ واحد انبغ الشخصيات واغناها طاقة على الانتاج الادبي والعطاء الفكري .

لذلك ساحاول ان اصوره في هذه الدراسة . صبياً ؛ وفتىً ؛ وتلميذاً ؛ وكاهناً وخطيباً وشاعرًا ومؤلفاً مسرحياً وانساناً . وكي لا تكون هذه الدراسة جافة ؛ سأسرد بعض نوادره وطرائفه في سياق البحث .

مولده ونشأته

على علو زهاء خمسماية متر عن سطح البحر . وعلى بعد اثني عشر كيلومترًا عن البترون في محافظة الشمال ؛ قرية وادعة قائمة على جبل كانه سنام جمل ؛ تحيط بها اودية من جهات ثلاث . فتطل على البحر غرباً وتشرف على العديد من قرى منطقتي البترون وجبيل شرقاً وجنوباً وشمالاً .

بيوتها التي لا يزيد عددها عن الاربعين ؛ آهلة بزهاء ثلاثماية شخص ؛ تربط فيما بينهم اواصر الحسب : وتشد الواحد الى الآخر وشائج القربى . فكلهم ابناء عم يتحدرون من جد واحد هو الخوري وهبه : بن نادر ؛ بن ذيب ؛ بن نوهرا ؛ بن بصبوص المعادي . نزح جدهم الخوري وهبه في اوائل القرن الثامن عشر عن قرية معاد في منطقـة جبيل واستقر الى جانب منخفض من الارض تتجمع فيه مياه الامطار ايام الشتاء . فسميت « غوما » هذه النقطة التي حل فيها هذا الضيف النازح عن معاد . واذا اولاده

واحفاده يبتاعون رويداً رويداً املاكاً من سرحال حماده وآل حماده ، ويطحنون الصخور ، ويستصلحون الاراضي القاحلة ويسقونها عرق الجبين ويتعهدون تربتها . يستنبتونها خيرات ومواسم ، وهم بكفافهم راضون .

ففي قرية « غوما » هذه . ولد فجر نهار الجمعة في التاسع والعشرين من شهر حزيران عام ١٨٦٦ لطنوس ، بن حنا ، بن ديب ، بن الخوري وهبه ، ولزوجته نعمه ابنة منصور ، بن صادق ، بن فنيانوس ، بن الخوري وهبه طفل سمي حنا تيمناً باسم جده لابيه . ففرح به والداه وشاركهما فرحهما الاهل والاقارب وسائر افراد القرية .

ونشأ حنا كاترابه عهد ذاك ، يقضي وقته بين البيت وجواره ، يتلهى بصلي الدبق للعصافير وتخريب الاعشاش ، ومساعدة والديه في قضاء ما يطلبان منه القيام به .

وينمو حنا في كنف والديه مع اخويه مخايل ويوسف وشقيقته خرستين ، صارفاً وقته في اللهو واللعب بالقرد المربوط و « فشختين وقرزة » وسواها من العاب ذاك الزمان ، مع ابناء عمه انطون وقيصر وحنا ومخايل . وعندما كان يقسو عليه والداه لعمل شيطاني قام به ، كان يهرول الى جده حنا وجدته وردية ابنة نعمه حنا ابي نادر ، فيطعمانه من اللوز او الزبيب او القضامي ما يطيب خاطره ويعيده الى بيته راضياً مسروراً .

ولما بلغ عامه السابع ارسله والده الى كاهن الرعية ليتعلم في المدرسة مبادئ الكتابة والقراءة . فوالدا حنا ما كانا يعرفان ما يضمر المستقبل لولدهما ، وما كان يمر في خاطرهما ان هذا الولد سيكون اساساً لنهضة علمية ادبية في قريته وجوارها ومنطقته ولبنان .

فعندما يتمكن حنا (هذا برأي والديه) من توقيع اسمه ومن قراءته « عند سعد ورد » ومزامير داود . وعندما يصبح اهلاً للوقوف في الكنيسة حول « القراية » يجاري شباب القرية في تنغيم الصلوات السريانية ، يكون في نظرهما قد بلغ اقصى الحدود التي يطمحان اليها . وكل ما يزيد عن ذلك نافل ، فحنا لا يحتاج الى المزيد من العلم . انه لن يصبح كاهناً ويكفيه منه هذا المقدار .

كانت المدرسة في « العلية » الواقعة في « سمار جبيل » والتابعة لوقف مار نوهرا . فكان حنا يذهب الى المدرسة مرتدياً القمباز ، معلقاً بكتفه اليمنى « الجال » وفيه الكتب والدفاتر ، شاكاً في زناره اقلام « الغزار » ودواته .

وتوصل حنا الى كتابة الالفباء وتصوير اسمه وقراءة « عند سعد ورد » ومن مزامير داوود « طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الكفرة » وفي السنين التوالي حفظ الاجرومية وتعلم قليلاً من السريانية .

الا ان ارتياده المدرسة كان يسبب لوالديه كثيراً من المتاعب وقلق البال . كان الطيش مسيطراً عليه . فقلما يمر نهار دون ان تصلهما من اخبار حنا ما لا يفرح ويسر . حنا ضرب زيداً ، حنا وقع من التوته . حنا اعتدى على احد رفاقه . وشج راسه بحجر . فولدهما حنا كان عفريتاً يتحرش برفاقه ويقاتلهم ويتغلب حتى على الاكبر منه سناً ويمزق ثيابهم وكثيراً ما كان يسطو عليهم ويستأثر بما لديهم من شهيّ المآكل من « تين مطبع » و« زبيب » و« صفوف » . ويهرب الى خرائب قلعة « سمار جبيل » المجاورة لمدرسته ، فيختبئ في اقبيتها حتى اطلق عليه رفاقه اسم « المغلنجي » وهو لقب من يسطو على الناس فيسلبهم ما لديهم ويفر من وجه العدالة . وفي جوار خرائب القلعة المذكورة بئر معروفة ببئر مار نوهرا ، تروي الحكايات والاساطير ان والي البترون دفينوس استحضر في اواخر القرن الثالث للميلاد مار نوهرا وشقيقته قانون وشقيقته تقلا وحاكمهم وامرهم بالكف عن التبشير بالانجيل . ولما رفضوا الاذعان لمشيئته وجاهروا بايمانهم ، امر بقتلهم فهربوا الى سمار جبيل فلحق بهم مضطهدوهم ، وفي ما كان مار نوهرا فاراً من وجه اعدائه رمى بنفسه في ذلك البئر تخلصاً من شر اللاحقين به ، وهو ما يزال فيه يحضر لمن يرمي في البئر قطعة من النقد . فكان حنا ساعة يكون لديه « بشلك » او « نحاسة » يرمي القطعة النقدية في البئر مردداً « يا مار نوهرا حضار حضار ، يا مار نوهرا حضار حضار ، جايبك من غوما زوار » وتتماوج مياه البئر لدى سقوط القطعة النقدية فيها ، وينعكس راس حنا في المياه بشكل غير جلي ، فيتوهم كما يتوهم سواه ، ان مار نوهرا حضر مستنتجاً ان المعلم لن يعاقبه على اعتدائه على اترابه ، فيهدأ روعه ويطمئن باله ويعود الى المدرسة . اما اذا كان الجو غير صافي الاديم ولا يتسرب نور الشمس الى مياه البئر ويستحضر حنا مار نوهرا فلا يحضر عندما يرمي النحاسة ، فيتشاءم ويتوقع العقاب الصارم من المعلم فيهرب الى خرائب تلك القلعة حيث يتوارى عن الانظار طوال النهار . وحدث له مرة انه بينما كان في خرائب تلك القلعة هارباً من قصاص المعلم وقع نظره على « عش » في شجرة « بطم » نابتة في صخر شاهق يعلو الارض زهاء ستين متراً جنوبي القلعة . الوصول الى العش مغامرة خطرة جداً ، واقل زلة قدم تقضي على

حياة اي مغامر . ولكن كيف يترك العش ولا يرى ما فيه ؟ وبعد قليل من التردد والتبريث خلع حذاءه وصعد الى الشجرة وشرع ينتقل من غصن الى غصن ويتطاول حتى تصل يده الى العش . وفجأة انقصف الغصن الذي كان متكئاً عليه وهوى نصف جسمه الاعلى نحو الارض وكاد يسقط من ذلك العلو الشاهق على الصخور لو لم يعلق قبازه وزناره الجلدي بالاغصان . وبعد تأرجح في الهواء بين الارض والسماء ، وبعد كثير من الجهد الجهيد . تمكن من العودة والنجاة من الموت المحتم .

... وتمضي السنون وحنا يكبر ويتعافى ويشتد ساعده ، فيرافق والده ايام العطلة الى الحقل يعاونه في تعهد الارض وحراثتها . ويسمع والده وقد كان « قوالا » ينشد باعلى صوته في الحقل :

« يا شجرة البلدار حاميك اسد

واتكسرت الاغصان من كتر الحسد

نحنا زرعنا الزرع جا الغير وحصد

يا حسرتي ردوا القمح لعدالنا »

وكان حنا يأبى الا ان يجاري والده في طربه كما يعاونه في اعماله واشغاله فيصيح مترنماً :

« يا بنت اربعتعش شعرك جدلي   احكي المزح للغير واحكي الجد لي

لو تعرفي بغيابكي شو جد لي   مجنون ليلى ما تعذّب مثلنا »

ويعود الاب وابنه الى البيت . ويجتمع افراد العيلة في ليالي الشتاء الباردة حول الموقد يشوون على جمره « البلوط » ، وينضم اليهم الجيران والانسباء فيمضون السهرة في لعب « السنكيل » و « الباصرة » و « المنقلة » او في السماع الى قصة عنتر بن شداد او رواية « الزير ابو ليلى المهلهل » .

وكثيراً ما كان يدفع الاستطراد الى التحدث عن بطولات الاجداد ونوادرهم ، وعن السلف والخلف من اهالي القرية فيتحدثون عن « الخوري نوهرا خطار » الذي رفس الضبع برجله وقتله ، وعن الكتب الضخمة التي ملأ بها خزانته ، وعن « نوهرا بو خطار » الذي ادب « الظابطي » التركي واشبعه ضرباً .

ويتشعب الحديث فيروي البعض البطولات عن يوسف بك كرم وكيف حارب داود باشا وحزم الجيش التركي في اكثر من موقعة . وينتقل الحديث

الى جد اهالي القرية الخوري وهبه، ويعود المتحدثون القهقرى الى الوراء، متوغلين في الماضي، باحثين في انساب الجدود، من الخوري وهبه، الى نادر، الى ديب، الى نوهرا، الى المقدم بعبوص جد العائلة الجامع الذي كان ذا قوة وبطش ومثل دوراً كبيراً في العاقورة.

هذه لمحة خاطفة عن الخوري حنا طنوس عهد الطفولة والحداثة وعن البيئة التي نشأ فيها، وعما كان يدور في تلك الايام من احاديث واخبار، كان يصغي اليها كل الاصغاء ويستوعبها ويختزنها في عقله الباطني تاركاً للايام ان تخمرها، وتنضجها، وتصفيها، وتجلو دقائقها.

ويشاء القدر الا يبقى حنا طنوس على ما اقتبس في مدرسة القرية من مبادئ الكتابة والقراءة، وتشاء العناية الالهية الا تتخلى عن مواهب هذا الفتى الغنية فتتركها خاماً بل احبت ان تصقلها وتثمرها وتعدها لمستقبل باهر في ميادين العلم والادب والثقافة، فقيضت له مجال الانتقال الى معهد « راتسبون » في القدس حوالى عام ١٨٧٦.

فما يكون معهد « راتسبون » ؟ من ارسل حنا طنوس اليه ومن كان يدفع عنه الاقساط المدرسية في ذلك المعهد؟

معهد راتسبون

معهد « راتسبون » انشأته في القدس رهبانيـة سيدة صهيون (Congrégation de Notre Dame de Sion) التي اسسها تيودور مـاري راتسبون.

وهذا الاخير يهودي فرنسي ولد في مدينة ستراسبورج عام ١٨٠٢ ومات عام ١٨٨٤. اعتنق الدين المسيحي عام ١٨٢٧ واصبح كاهناً واسس رهبانية سيدة صهيون عام ١٨٤٢. وكان لتيودور شقيق اسمه الفونس اعتنق النصرانية ايضاً عام ١٨٤٢ فدخل اولاً رهبنة الآباء اليسوعيين ثم الرهبنة التي اسسها شقيقه اي رهبنة سيدة صهيون ونقل مركزها الرئيسي الى القدس حيث انشأت معهداً عرف بمعهد « راتسبون ».

وكان هذا المعهد يعلم التلاميذ مجاناً ولا يتقاضى منهم الا اكلاف الكتب والقرطاسية. اما حنا طنوس فقد ارسله الى ذلك المعهد الراهب الدومنيكي الاب اسطفان دوبط عم صالح الخوري دوبط (من قرية معاد في قضاء جبيل) الذي كان، نظراً لما بينه وبين المشرفين على ادارة المعهد المذكور

من وشائج الصداقة وطيب الصلات ، يرسل اليه انسباءه تلاميذ الاسرة المعادية ، ويدفع عنهم ثمن الكتب والقرطاسية وما شاكلها ليتيسر لهم سبل التعلم والتثقف .

وحنا طنوس بانتقاله الى القدس ، وتركه الجو الذي كان يعيش فيه ، تبرعمت مواهبه وتفجرت نباهته . فاذا هو المجلي بين رفاقه واترابه ، تلميذ حاد الذهن ، فطن ، لبيب ، يتمتع بذاكرة عجيبة مدهشة وذكاء نادر ادهش جميع معلميه ، حتى ان امبراطور البرازيل دون بادرو الثاني رغب ان يتبناه بعد حادث طريف لا بأس من سرده .

حنا طنوس وامبراطور البرازيل

كان امبراطور البرازيل دون بادور الثاني وهو رجل عميق الثقافة ومن اعظم علماء عصره قد درج على زيارة الاراضي المقدسة كل عام . واثناء زيارته الاخيرة حوالى عام ١٨٧٧ عرج على معهد « راتسبون » لتفقد احواله ومده بالمساعدات اسوة بأمثاله من الملوك المسيحيين عهد ذاك .

فاستعرض الملك التلاميذ يحادث هذا وذاك وذلك ، ويطرح عليهم الاسئلة ممتحناً مواهبهم وذكاءهم ، حتى دنا من التلميذ حنا . فاسر رئيس المعهد الى الملك ان التلميذ الذي امامه هو من انبغ من عرفهم المعهد واذكاهم وانجبهم ، فضلاً عن ذاكرته الغريبة المدهشة .

وسأل الملك التلميذ حنا قائلاً : يقول حضرة الاب الرئيس انك ذكي وذو ذاكرة قوية . فلك مني جائزة ثمينة ان اثبت لي ذلك وتمكنت من حفظ ما ساقوله .

وشرع الملك يقول « الصلاة الربانية » باللغة البرتغالية ، وحنا مطرق الرأس ، جالس على المقعد الخشبي ، يهز برجليه ويلعب بقلم بين اصابعه . فدنا منه الاب الرئيس ولكزه في خاصرته لافتاً انتباهه الى وجوب شحذ وعيه وذاكرته ، كي لا يسود وجهه ، ويخيب امله فيه . فافهمه التلميذ حنا باشارة باصابعه الثلاث التي ضمها الى بعضها البعض ، الا يخاف (وكان الخوري حنا اثناء سرده هذا الحادث يوضح انه كان لا يمكنه ان ينتبه ويستجمع قواه العقلية الا ساعة يلهي اطرافه كاصابعه ورجليه بشيء ما) .

وما كاد ينتهي الملك من الصلاة الربانية حتى اعادها التلميذ بحذافيرها . طار رئيس المدرسة فرحاً واستولت الدهشة على الامبراطور ، فرجا من الاب

الرئيس ان يعلم اهل التلميذ بانه يرغب ان يتبنى ولدهم ؛ وهو مستعد لاعطائهم : لقاء سماحهم له بذلك : ما يريدون ويرغبون.

وسافر الامبراطور عائداً الى بلاده منتظراً جواب اهل التلميذ . لكن هذا الملك الفيلسوف العميق الثقافة المشبع بمبادئ فلسفة المدرسة الوضعية «Positivisme» لمؤسسها الفيلسوف الفرنسي « اوغست كونت » ما كاد يصل الى بلاده حتى الغى الرق ؛ واعتق العبيد في مملكته عام ١٨٨٨ . عندئذ نقمت عليه الطبقة الاجتماعية السائدة ؛ واشعلت ضده نار الثورة التي اطاحت بعرشه فاضطر الى الاستقالة في ١٥ تشرين الثاني ١٨٨٩ والتخلي عن العرش . والتجوء الى فرنسا حيث توفي عام ١٨٩١ .

والله ادرى بما كان يضمره المستقبل لحنا طنوس في ما لو لم يخلع الامبراطور عن عرشه ويوافق والدا حنا على عرض الملك .

وقد ظل حنا طنوس يتمتع طول حياته بقوى هذه الحافظة النادرة ، كما سنرى في ما بعد .

وترك القدس عائداً الى لبنان حيث اكمل دروسه العربية وانجزها على يد الاب يوسف ابي صعب في مدرسة مار يوحنا مارون في « كفرحي » . وبعدئذ شرع يدرس في مدرسة الخوري حنا بصبوص في قرية جربتا ، ثم في قرية معاد .

ويضيق بروحه الطموح ، لبنان . فيسافر الى المكسيك قرب شقيقه مخايل ؛ حيث لم يبق الا زهاء سنتين عاد بعدهما الى وطنه حيث شعر بدعوة الى الكهنوت .

قصد البطريرك بولس مسعد يطلب مساعدته في دعوته فلم يكترث له . ثم قصد الخوري اغناطيوس المعادي (من قرية مزاح الزيات) سائلاً مساعدته ، فرافقه هذا الاخير الى كلية القديس يوسف للآباء اليسوعيين في بيروت وقابلا الاب جبرائيل اده اليسوعي : راجين قبول حنا طنوس تلميذاً اكليريكياً فيها . فرفض لتقدمه في السن . الا ان عزيمته كانت أقوى من الحواجز والعراقيل . فالح وتشبث بطلبه قائلاً : « لن اخرج من هنا الا جثة هامدة » . عندئذ اذعن لرغبته رئيس المدرسة ، وقبله في عداد التلاميذ الاكليريكيين نهار الخميس في الاول من شهر تشرين الاول عام ١٨٩٠ . وهو شاب غض الاهاب في ربيعه الرابع والعشرين . فنظراً لسنه واتقانه اللغة العربية ادخل الى الصف الرابع واكب على الدرس والتحصيل باجتهاد لا يعرف

الملل ولا الكلل ، حتى قفز بعد شهرين الى الصف الثالث كما تثبت ذلك القيود المسجلة في اضبارات التلاميذ الاكليريكيين في جامعة القديس يوسف في بيروت .

وكان المجلي في صفوفه بين رفاقه واترابه ، كما كان الاول في الفرنسية . الاول في العربية . الاول في الادب ، الاول في التاريخ ، الاول في الشعر . الاول في الرياضيات حتى حاز على اعجاب جميع اساتذته ومعلميه . وقد كان رهيف الحس . قوي الشعور ، دقيق الاحساس يرى ما لا تراه العين ويسمع ما لا تسمعه الاذن .

ابي مات

وقد جرى له عهد تلمذته حادث طريف يجمل بنا ان نرويه . حدث ذلك نهار الاربعاء في الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني عام ١٨٩٠ ، كان الاكليريكي حنا جالساً في الدرس مكباً على كتبه يدرس امثولاته عند الظهيرة واذا به يطرأ عليه ذهول ، ويضيع في بحران ، ويسمع جرس كنيسة رعيته « مار نوهرا » في سمار جبيل يدق دقات حزن ، ويرى الاكليريكي حنا ، بعين البصيرة ، احد اهالي قرية « سمار جبيل » يقف على سطح بيته وينادي قارع الجرس ، جرياً على العادات في القرى اللبنانية ، سائلاً : من مات ؟ ويجيبه قارع الجرس : طنوس حنا .

وينتفض الاكليريكي من تأثير الصدمة والنبأ المشؤوم ، فيعود من غيبوبته ، ولاوعيه ، وذهوله ، وبحرانه ، مسرعاً الى الاب المناظر قائلاً له . والدمعة في عينيه . « ابي مات ارجو ان تسمح لي بالذهاب الى القرية » . فقال له الاب المناظر متعجباً ساخراً : « هل طرق عليك جنون يا ابني ماذا دهاك من اطلعك على هذا النبأ ، كيف عرفت ذلك ؟ » . اجابه الاكليريكي ، واللفظة تتحشرج في نبرات صوته : « انا سمعت دقات جرس القرية وسمعت قارع الجرس يقول ان والدي مات » . فهدأ الاب المناظر روع التلميذ وقال له : « قد تكون تحت تأثير عوامل نفسانية سيطرت عليك وعلى حواسك فتوهمت انك سمعت ما سمعت ورايت ما رايت . عد الى مقعدك واستأنف درسك بطمأنينة » .

وعاد الى مقعده وما كاد يكتن رأسه بين يديه ، منصرفاً الى الدرس حتى عاودته الظاهرة ذاتها : جرس كنيسة الرعية في القرية يدق دقات حزن

وشخص من « سمار جبيل » . الشخص ذاته : يسأل من مات : فيجيبه قارع الجرس : « طنوس حنا » .

وينتفض الاكليريكي كالمجنون . ويقص ثانية على الناظر ما رأى وسمع متوسلاً اليه ان يأذن له بالذهاب الى قريته لحضور جناز المرحوم والده . فنصحه الناظر بترك الدرس والتمشي في الملعب . ثم الذهاب الى المنام ليستلقي على فراشه مريحاً بذلك اعصابه .

... وفي اليوم التالي وفد الى بيروت رسول من « غوسطا » بنقل الى الاكليريكي حنا موت والده البارحة . وقد ثبت ان الجرس كان فعلاً يدق حزناً في تمام الساعة التي سمع حنا دقاته . وان الشخص الذي قرع الجرس ، كان الشخص الذي رآه حنا بعين البصيرة . وان الشخص الذي وقف على سطح بيته في « سمار جبيل » وسأل من مات : كان الشخص عينه الذي رآه الاكليريكي حنا .

وانهى دروسه متضلعاً من الفرنسية والعربية واللاتينية والسريانية واليونانية وآداب كل هذه اللغات .

وسيم كاهناً صباح نهار السبت في ٢٧ ايار ١٨٩٩ ؛ ونهار الجمعة في ١٦ حزيران من تلك السنة ترك المدرسة الاكليريكية متنقلاً من ميدان العلم : الى ميدان العمل والجد والنشاط . وتأدية رسالته . وكان صباح نهار الثلاثاء في ١١ نيسان ١٨٩٩ قد قدم اطروحته لنيل شهادة الدكتوراه في اللاهوت فنالها بتفوق نهار الاحد في ١٦ تموز ١٨٩٩ على عهد رئاسة الاب كاتان اليسوعي وكان رئيس اللجنة الفاحصة الاب (Augustin Rodet) .

شرع الخوري حنا يدرس ويؤلف ويعظ ويرشد فعرفه الآباء اليسوعيون في بيروت معلم البيان والخطابة (من ١٩٠٠ الى ١٩١٠) ومن (١٩٢٠ الى ١٩٢١) وعرفته اخوية «مار لويس غونزاغا» مرشداً لها . وكاتدرائية مار جرجس المارونية في بيروت واعظاً يتهافت الناس من مسيحيين ومحمديين اليها لسماع عظاته الانسانية . وعرفته معلماً مدرسة « النصر » في كفيفان (من ١٩١١ الى ١٩١٣ ثم ١٩٢٩) فمدرسة ميفوق (من ١٩٢٢ الى ١٩٢٨) : فالكلية الوطنية في بانياس (من ١٩٣٠ الى ١٩٣٣) كما علم اللاهوت في « كرم سده » وفي « مار عبدا هرهريا » وفي « سيدة المعونات » .

وشهرته الادبية حملت ارباب الاسر الكبيرة من مشاهير اللبنانيين واعيانهم على التهافت على الخوري حنا ، يستقدمونه اليهم معلماً خاصاً لاولادهم ،

كما فعل مشايخ آل ابي صعب في « مزرعة بيت ابي صعب » ومشايخ آل رفول في « اجبع » . ومشايخ آل اسطفان في « كفر صغاب » .

وهكذا . على مقاعد معهد الآباء اليسوعيين في بيروت . ومدرسة « النصر » في كفيفان . وبين جدران مدارس « ميفوق » والكلية الوطنية في بانياس : وبين « كرم سده » و « سيدة المعونات » و « مار عبدا هرهريا » . وفي رحاب دور مشايخ آل اسطفان في « كفر صغاب » وآل رفول في « اجبع » وآل ابي صعب في « مزرعة بيت ابي صعب » . هذب نفوساً . وصقل اذواقاً . و « سترط » اذهاناً . و « افلط » عقولاً . فتتلمذ لديه عدد كبير من مشاهير الرجال : وتخرج عنه دهاقنة سياسة . وفطاحل ادب وعلم وثقافة . وافاضل رجال دنيا ودين : ومشاعل عبقرية ورجولة ووطنية : أمثال المرحوم الشيخ بشاره خليل الخوري[1] والمغفور له رياض الصلح والاستاذ جورج خيمري : والاستاذ يوسف السودا : والاستاذ يوسف غصوب .

شخصيته

قوي البنية . مديد القامة . ناري النظر . مسحت العبقرية بمنديلها محياه فضاعت قسمات وجهه بين العبسة الباسمة والبسمة العابسة .

وفي مقلتيه تموجات على الحدقتين فما تعلم اتموجات فرح هي ام تموجات حزن وعلى اسارير وجهه يواقيت من الالم الهاجع .

وجهه نفور لا اثر للعذوبة عليه : وعيناه كأنهما امام كارثة او فاجعة . وجبين عريض هادئ فيه حاجبان منبطحان منفرجان تركت بينهما الايام فيما بعد : اثلاماً عمودية . وخدان ناعمان منكمشان ينخفضان في سفح الانف ليفسحا ميداناً واسعاً لشاربين ضعيفين يعلوان فماً رقت شفتاه وشنتا . وذقن تكسوه لحية كثة الشعر مبعثرة : ما عرفت المشط الا نادراً .

واذنان طويلتان ما انسجمتا ورأسه الصغير : فكذبتا بذلك صدق علم الفراسة .

وجبة حارت بين السواد وسائر الالوان . تغلف هيكله : يتوسطها زنار

---

١) ذكر الشيخ بشاره خليل الخوري في الصفحة ٤٦ من الجزء الاول من مذكراته « حقائق لبنانية » ما حرفيته : من لهم فضل علي . الاب حنا طنوس المعادي ، من غوسا ، معلمي في الصف الاول والاخير ، وهو الشاعر الناثر ومؤلف الروايات المشهورة . وقد اجاز له الاب خليل اده ، مدير الدروس العربية ، ان يعطي دروساً خاصة اكثر من خمس ساعات في الاسبوع لاكمال علومي .

عريض ما عرف الاستقرار مرة في مكان واحد ، فهو تارة على الصدر ، وطوراً على الوسط واحياناً ادنى .

وزوجان من الجوارب اتفقا على تغليف رجليه واختلفا على اللون والشكل وما ساد الانسجام والوئام بينهما الا نادراً .

ملء الرأس علم وعي ونضج . رخي الصدر على مودة ومحبة ، رضي الطباع على الفة وشيم ، يعرف نفسه على غير ادعاء وغرور ويحترمها على غير تجبر وصلف .

الى حسبه التليد الذي به اعتز وافتخر اضاف نسباً جديداً من العلم والادب به زها وتغنى .

« ان لم اكن بالغنى رأساً لعائلتي فانني رأسها بالعلم والادب »

شديد التأثر . سريع الغضب ، سريع الرضى ولعل هذه الصفات دليل على سلامة طوية وصفاء قلب .

اتفه شيء يغضبه وابسط الامور يفرحه . وان اغضب فبركان يقذف الحمم اللواهب ، وان رضي فطفل مدلل ، على فهم ، ساذج على عمق .

طيب القلب ، سليم الطوية ، سمح رحوم شفوق . الحقد ما تعرف اليه قلبه . والضغينة والموجدة ما عرف صدره لها شكلاً ولونا .

وديع متوادع متواضع ، يعتبر جميع الناس ويحترمهم ويجلهم ، ونظرته اليهم نظرته الى من يفوقونه علماً وادباً وثقافة ومواهب ، ونظرته الى نفسه نظرته الى من هو دون الناس علماً ومقدرة وذكاء .

مهمل كسول ، لا يعير زيه وثيابه وشكله اي اهمية ، فقلما كان يظهر للناس بشكل رائق وزي لائق .

قروي عتيق وجبلي اصيل ، ما صقل ذوقه العلم ولا شذبت امياله الثقافة ، فظل هو اياه من اولئك الجبليين الميامين ، طبيعياً في تصرفاته ، لا يعرف التكلف والرياء والخداع . ما فكر يوماً ان يعلو سواه او يتعالى على من هم دونه .

عايش اهالي قريته فكنت تحسبه احد الفلاحين المساكين الذين قضوا عمرهم وراء المعول والرفش . وعندما يضمه مجلس ادب تخاله النابغة الذبياني في سوق عكاظ .

اذا وقع نظرك عليه وكنت تجهله احتقرته وازدريته قبل ان يتفوه بكلمة : اما اذا بدأ يتحدث فتدرك ان الذي امامك هو من طينة غير طينة الرجال العاديين.

سخي اليد بينه وبين المادة عداء وجفاء.

عف اللسان : عنيف الجنان. ما عرف لسانه التدح والهجاء : وقلبه الا المدح والثناء.

يحب بطنه ولمعدته عنده احترام خاص ومنزلة مرموقة. اكلة شهية تنسيه متاعبه ومشاكله. وعلى الرغم من كونه يستمرئ كل شيء كانت المآكل المفضلة لديه ما دخلها السكر وحلا طعمها في الحلق. وبين الفواكه كان العنب «العنب المسك» خير ما يحب ويفضل.

ما تمنى الانتصار والتغلب على احد الا في لعب الورق : حيث كان يتحمس له حماساً يفقده احياناً اتزانه. فان انتصر تنفتح اسارير وجهه وتبهور وتهرجل : وان غلب ازبد وارعد وزمجر وكال دائماً لشريكه قوارص الكلام البريء.

ان وقع بصرك على كاهن يدخن اللفائف الواحدة تلو الاخرى وبشكل لا واع ، وينفث بقوة دخانها في الهواء حتى ولو لم تكن مشعلة ، ويرميها ولم يحترق بعد نصفها ، ليشعل اختها فوراً ؛

وان رأيت في مجلس كاهنا لا ينفض رماد لفافته الا على صدره وثيابه؛

واذا وقع نظرك على رجل يدلف في سيره دلف الضفدع متنقلاً على الطريق من اليمين الى اليسار : ومن اليسار الى اليمين ، وعيناه مثبتتان في ما لا تعلم باي شيء على الارض ، واذا حييته ولم يكترث لتحيتك او لم يسمعها ، لانه ضائع في مهامه الخيال؛ شارد في واحات التفكير : فقل : انه الخوري حنا طنوس.

عهد الخصب والانتاج

شرع الخوري حنا يعلم ويؤلف فكان له تأثير كبير في الادب العربي عامة والفضل الاكبر على المسرحية العربية خاصة.

قبل الخوري حنا كان تدريس الادب يقوم على حفظ القصائد الشعرية ، وتفسير مفرداتها ، وشرح معاني اباتها ، مع ابراز محاسنها البيانية، وروائعها المعنوية : دون اللجوء الى التحاليل والنقد ، وربط الاثر الادبي

من منظوم ومنثور بحياة مؤلفه . ودون درس الاسباب التي دفعته لتأليفه والعوامل التي اثرت فيه من نفسانية وبيئية واجتماعية وانسانية وسياسية . فكان الاثر الادبي يدرس كوحدة مستقلة عن مؤلفه : لا كجزء من كل . لا يمكن ان يفهم تمام التفهم الا اذا وضع في اطاره الزمني وضمن نطاقه الادبي. فكما ان الثمرة : وهي نتاج الشجرة . لا يمكن تقييمها الا اذا درست الشجرة. والتربة التي تعيش فيها وسائر العوامل الطبيعية التي تؤثر فيها : كذلك النتاج الادبي. لا يمكن فهمه حق التفهم وتقييمه: الا اذا وضع في اطاريه الادبي والزمني اللذين اوجداه : والا اذا اعتبر جزءًا من كل . وربط ربطاً وثيقاً بمؤلفه واعتمدت المقارنة بينه وبين سائر النتاج الادبي .

هذا ما ادركه الخوري حنا. واذا هو يباشر تدريس الاداب العربية[1] بالطريقة العلمية العصرية عام ١٩٠٥ اثر حادث اسرده في ما يلي :

من اهنئ الاستاذ ام التلاميذ؟

بينا كان الخوري حنا يشرح لتلاميذه في جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين احدى المعلقات : دنا مدير الدروس العربية من الباب : وظل واقفاً منصتاً الى شرح المعلم : حتى قرع الجرس فدخل وقال : لا ادري من اهنئ؟ ااهنئ الاستاذ على شرحه او التلاميذ على اصغائهم؟ المثل اللاتيني يقول : الالفاظ تطير والمدون المكتوب يبقى . فارجو من حضرة الاستاذ ان يستكتب تلاميذه ما يقوله : وانا واضع جائزة لتاريخ الآداب العربية .

وهكذا كان . فوضع الخوري حنا مؤلفات اربعة في تاريخ الادب العربي متناولاً العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، والعصر العباسي وعصر الانحطاط ؛ فكان بذلك السباقة في تدريس الآداب العربية على الطرق العلمية الصحيحة ؛ ووضع الآثار الادبية من شعرية ونثرية على محك النقد ، والتشريح ، والتحليل ، والمشابهة ، والمقارنة ، فالمفاضلة .

ولعل في مقارنته بين الاخطل والفرزدق وجرير ، وبين المتنبي وابي تمام والبحتري : ما يعطي فكرة عن طريقته في التحليل ، واسلوبه في المقارنة والمفاضلة ، نثبت بعض مقاطع من المقارنتين في ما يلي :

---

١) « تاريخ آداب اللغة العربية » الذي باشر جرجي زيدان نشر فصوله عام ١٨٩٤ ، يشتمل على ما حوته اللغة العربية من العلوم والآداب وتراجم العلماء والادباء والشعراء ، ولا يتضمن الا عناصر تاريخية لدراسة الآداب العربية .

مقابلة بين شعراء المثلث الاموي الاخطل والفرزدق وجرير
(المشرق تموز ١٩٣٣)

«لكل منفضليه من وجوه. ويختلف المفضلون تفضيلاً اجمالياً حسب»
«اختلاف نزعاتهم وميولهم ونظرياتهم. فالعلماء والحكماء واصحاب العقول المفكرة»
«يفضلون الاخطل على صاحبيه: لما في شعره من سديد المعاني. وصدق»
«الافكار: وضبط المباني: اكثر من منافسيه. اما الادباء والشعراء واصحاب»
«الشعور الرقيق: ومفضلو الغزل والنسيب على سائر فنون الشعر: والمولعون»
«بلين الاسلوب: وعذوبة الديباجة: وسلاسة الالفاظ: وانسجام التعابير:»
«فيضعون جريراً في المقام الاول. اما اللغويون والنحاة وكل من يهمه الوقوف»
«على غنى اللغة العربية وما فيها من غريب الالفاظ وشوارد الكلم: الراغبون»
«في الاطلاع على ايام العرب: وحروب القبائل: ومفاخر القوم: ومثالبهم.»
«المولعون بالمعاني الدقيقة: والتراكيب المتنوعة الالوان: المتباينة الاشكال:»
«فامامُ الثلاثة في نظرهم الفرزدق.

«وقد يدخل في التفضيل ما ليس من موضوع الادب. فالاشراف عموماً»
«يفضلون الفرزدق لحسبه ونسبه: والمسيحيون اجمالاً مولعون بالاخطل لما بينه»
«وبينهم من اتفاق المبادئ: والعقائد: والآراء الدينية: مما يؤثر كثيراً في»
«الادب. والشبان: واصحاب المقامات المتوسطة: ومعظم الادباء: معجبون»
«جد الاعجاب بجرير. على ان الحقيقة لم يحتكر احد من الثلاثة جميع»
«المحاسن التي يتفوق بها الشاعر على سائر الشعراء وقد استأثر كل منهم»
«ببعضها.

«فمما استأثر به الاخطل الاجادة بالمديح والتمادي في جميع ابوابه وانواعه»
«واساليبه حتى استحق المقام الاول بين سائر الشعراء مع استاذه زهير بن ابي»
«سلمى. وكذا قل عنه في الهجاء وحسن التخلص من المأزق الحرج ووصف»
«المواقف والتكاهات المطربة والتغني في وصف الخمرة وشاربيها.

«وقد استأثر جرير في دقة الشعور وشدة التأثير ولطف الاسلوب وعذوبة»
«الديباجة في الغزل والنسيب: وانسجام الكلام.

«واختص الفرزدق لنفسه التفوق بالفخر وصلابة الشعر ومتانة القول ودقة»
«المعاني وتنوع الاساليب والتراكيب وذكر مآثر القوم وعيوبهم مع التدقيق»
«في الانساب.

«يقول المثل المأثور: «ليس في الاعادة افادة» ولكن لزيادة الايضاح:»
«نلخص الموازنة ونقول: الاخطل امدح الثلاثة للملوك: واجودهم مطولات:»
«واقلهم سهواً وسقطاً: واضبطهم قولاً، وامهرهم في تنقيح الشعر وتهذيبه:»
«واكثرهم تفنناً في اساليب المدح وطرق الوصف. وجرير ارقهم شعوراً:»
«واشدهم تأثيراً. واهجاهم: واغزلهم: وانسبهم: وارثاهم: واسلسهم لفظاً:»
«واعذبهم اسلوباً. واحسنهم روعة. والفرزدق افخر الثلاثة: واصلبهم شعراً:»
«وامتنهم قولاً. واعظمهم تفنناً في تنوع التراكيب والاساليب: واكثرهم معرفة»
«باللغة وشواردها. واعلمهم بتاريخ العرب وايامهم وانسابهم.

«هذه موازنة اجمالية يرى فيها الاديب وجوهاً شتى يتفوق بها احد الثلاثة»
«على صاحبيه. وكلها مصادر للتفضيل لا يستهان بها فيقف عندها الناقد»
«البصير حائراً لا يدري اي الثلاثة اشعر وافضل. فيتردد في حكمه:»
«ويمتنع عن تفضيل احد الثلاثة على صاحبيه: كما جرى للكثيرين من»
«الادباء النقدة الذين ينزل المرء عند حكمهم، ويقولون: لا يمكن تفضيل»
«الواحد منهم على الآخر الا من وجوه مخصوصة. ولكن الامر خلاف ما»
«يتوهمون. فالناقد المدقق الخالي من كل عصبية وحزبية، يضع الحق نصب»
«عينيه: وينصب ميزان الشعر ويضع مجموع المحاسن الشعرية في الكفة»
«الواحدة: ويضع سائر المحاسن: وخصوصاً اللغوية في الكفة الاخرى. فمن»
«رجحت كفته كان الرابح.

«فمن كان من الشعراء الثلاثة معجباً للعقل والحواس والخيال والقلب معاً»
«اكثر من رفيقيه كان له القدح المعلى. اعني من اجاد كل الاجادة في»
«سائر اغراض الشعر التي تعاطاها كان اقوى شاعرية. ومن اثار العواطف»
«وحرك القلوب: كان ارق شعوراً. ومن هز شعره النفس في تلاعبه في»
«الشواعر والحواس كالعين والاذن مثلاً بصوره الجميلة والفاظه الرقيقة العذبة»
«السهلة وتعابيره المنسجمة: كان اشد روعة. فمن كان اذن من الثلاثة اوسع»
«شاعرية واشد تأثيراً في القلوب واعظمهم امتاعاً للحواس واحسن روعة كان»
«الاشعر. لان الشعر يقوم خاصة بهذه الاركان الاربعة اعني بها، قوة»
«الشاعرية وشدة التأثير على القلب وامتاع الحواس وخاصة العين والاذن.»

«فبهذه الاركان الاربعة يفضل جرير على صاحبيه، فترجح كفته رجحاناً»
«خفيفاً عن كفة الاخطل: وترجح كفة الاخطل رجحاناً قليلاً عن كفة»
«الفرزدق.

مقابلة ومفاضلة بين المتنبي وابي تمام والبحتري

« ثلاثة شعراء ظهروا في العصر العباسي الاول والثاني والثالث . ابو تمام »
« والبحتري والمتنبي . فزادوا دائرة اللغة العربية بمبانيهم واحكامهم ومدائحهم »
« ومراثيهم واهاجيهم وفي كل غرض من اغراض الشعر . ولقد تضاربت »
« فيهم الآراء ؛ وتباينت الاقوال ؛ واختلف الادباء في تفضيل الواحد على »
« الآخرين .

« فالمتنبي اسمى عقلاً ، وامضى ذهناً ، وابعد نظراً . وابو تمام ارق »
« شعراً والطف حساً واصدق عاطفة . والبحتري اخصب خيالاً واحسن »
« تخيلاً وادق تصويراً . فالمتنبي يسمو بالمعاني المدهشة على تنوعها وغزارتها ؛ »
« وبابتكار الافكار على جدتها ومطابقتها للموضوع . فهو اول الثلاثة بل »
« سابق شعراء العرب كلهم في هذا الميدان . وابو تمام في رقة العواطف »
« السامية ووصف الصفات المستحبة الخلابة هو الاول ولا تكاد ترى له »
« ثانياً . والبحتري في وصف بدائع المصنوعات البشرية ، والمشاهد الطبيعية ؛ »
« وتصوير المنظورات الحسية ، يذهل ويدهش . وهو في هذا الباب الاول »
« والسابق بين سائر الشعراء . فالمتنبي شاعر العظمة والعظائم . وممدوحه اعظم »
« من الناس وفوق الناس ويكاد لا يكون من البشر . اما ابو تمام فممدوحه »
« اكرم الخلق وابسلهم واحكمهم . فهو شاعر العواطف الرقيقة والصفات »
« المستحبة . اما البحتري فممدوحه متفوق باخلاقه وعوامل نفسه واعماله . »
« ويكاد الثلاثة يتساوون في باب المديح . والافضلية للمتنبي في تعظيم »
« الممدوح والاسبقية لابي تمام في تحبيبه ، وللبحتري في تصوير اخلاقه » .

« اذا شبهنا الثلاثة باطيار ، فالمتنبي نسر يحلق في جو المعاني العالية »
« والافكار السامية ويصعد الى فضاء رحب متسع ولا يلبث ان يغيب »
« احياناً عن النظر غيبة غموض وابهام تواريه . ثم تنجلي الغيوم فيتراءى »
« لك محلقاً في الفضاء باسطاً جناحيه . وابو تمام حمامة على ايكة تنوح »
« تارة فتثير الاحزان والاشجان وتغني اخرى فتهيج عواطف الخلان والاقران . »
« والبحتري هزار على اغصان الاشجار وعلى ابراج القصور الشماء وفوق »
« البرك الصافية » .

« واذا شبهنا الشعراء الثلاثة بمصورين فالمتنبي مصور العظمة والعظائم . »
« وابو تمام رسام الكرم والكرام والمكارم . والبحتري نحات الحسن والمحاسن » .

« واذا نظرنا الى الشعر نظرة اجمالية من سائر وجوهه وابوابه واغراضه »
« ومبانيه ومعانيه وصفات الانشاء . ووضعنا المحاسن في كفة الميزان والمساوئ »
« في الكفة الاخرى وجعلنا نصب اعيننا المثال الاعلى للجمال الشعري »
« والكمال النفسي رأينا — اذا كان لا بد من مفاضلة — المتنبي راجح الكفة »
« ويليه ابو تمام ثم البحتري » .

ـ

وانصرف الى تأليف الروايات التمثيلية فكان بما خلف من مسرحيات رائد الفن المسرحي في الشرق العربي . فمن آثاره المسرحية نذكر : رجال الغابة السوداء . القرد الكبير : امير لبنان وكسرى : صبي الدهاليز : ملك الديماميس : النعمان الخامس : الحلم الرائع والصحو الفاجع : الحارث ، البطل الجهول . البطل الاخرس : الاعمى البصير : تخليص الوطن : العمران : حرب داحس وغبراء : غرسيا : يوسف بك كرم : المهلهل : البطريرك حجولا : امير الارز : العقل اللبناني والدهاء العثماني . عبد المنعم امير جبيل : داود وشاول : يهوديت : قسطنطين الملك : طوبيا البار : يوسف الحسن : ابشالوم : مار لويس : يوحنا فم الذهب : ليلى العفيفة : شهداء نجران : دانيال النبي : الدنانير الحمر : قايين وهابيل : جريمة وتكفير وغفران . اليا احنوخ : وسيدة لبنان (بالاشتراك مع بدوي ابي نادر) .

وله في الفلسفة : اللاهوت الادبي : واللاهوت النظري : وحوادث ذمة اي فتاوى .

وفي الادب : تعريب قسم من الانياذة للشاعر اللاتيني « فيرجيل » : والابن الشاطر ، ودون كيشوت للكاتب الاسباني « سرفنتس » .

كل هذا النتاج الادبي لم يدر على الخوري حنا : ما يمكنه من شروى نقير . وظل حتى آخر ايام حياته يفتش عمن يشتري ثمار نبوغه ومولدات خياله . واذكر في هذا الصدد اني عدته في ايامه الاخيرة اثر وقوعه عن سلم المطبعة الكاثوليكية ونقله الى مستشفى اوتيل ديو للمعالجة في اواخر شهر اذار ١٩٤٦ فجرى لي معه حديث ادبي طريف .

حديث الخوري حنا على فراش الموت

ما كدت ادق باب غرفته في المستشفى مستأذناً بالدخول حتى تنحنح وصاح ، ادخل .

دخلت عليه فاذا هو يجهد عينيه — وقد كان شحيح البصر — ليتبين

ملامحي فيعرفني. ولما دنوت منه وعرفني بادرني فوراً ببيتي الشعر التاليين :

جزى الله المصائب كل خير ولو كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها الا لاني عرفت بها عدوي من صديقي

وكان بيننا حديث طويل والحديث شجون. فسألته في ما سألته رأيه في ادباء العصر وشعرائه .

فاجاب ، من انا حتى اقيم نفسي حكماً بين الادباء والشعراء نظير النابغة في سوق عكاظ ؟

— ان لرأيك وزنه يا ابت فمن افضل الادباء في نظرك ؟

— سؤال يصعب الرد عليه لان كل اديب يفضل سواه بمزية من المزايا. ومواهب الاديب خمس : حدة الذهن وقوة المخيلة والحافظة ، والذوق ، وحسن التعبير . فمن تجمعت فيه هذه المواهب بدرجة متوازنة اصبح اديباً . ولكن من المستحيل او النادر ان تجتمع كلها بدرجة عليا متوازنة . فقد يسود العقل : وتضعف بقية المواهب فيتكون من ذلك الرياضي والمخترع والفيلسوف نظير باكون وديكارت وارسطو ...

— والشعراء في لبنان ؟

— المفاضلة صعبة لان كل واحد من شعرائنا يتميز بفرع من الفروع ومزية من المزايا. وشخصياً اتذوق كثيراً شعر الدكتور نقولا فياض ، واعجب بلغته الصافية واسلوبه البليغ . وانك ترى في قصيدته المعاني متلاحمة من اول بيت الى آخر بيت ، كان البيت الثاني وليد الاول والفكرة وليدة الفكرة .

— وفي الغزل ؟

— بشارة الخوري اغزل الشعراء وعندي انه اجدر بلقب عمر بن ابي ربيعه منه بلقب الاخطل الصغير. وقد فاق عمر ، وبهاء الدين زهير ، وابن الفارض . ولا يفضله احد في هذا الباب بل يجاريه امير الشعر الزجلي رشيد بك نخله. الا اني آخذ على الاخطل الصغير تماديه في غزله حتى في رثاء احمد شوقي.

— وما رأيك في شبلي الملاط ؟

— هو المجلي في الشعر القصصي ولكن يؤخذ عليه عدم الاتزان في قصائده. فانك ترى بين الابيات الفصيحة بعض ابيات دونها فصاحة . وذلك سببه سرعة الخاطر ، وغزارة المادة ، وسهولة النظم .

— ومن اية طبقة هو امين نخله ؟

— خفة روحه ، وعذوبة الفاظه ، واختياره اوقع الكلمات في الاذن : تؤهله لان يتبوأ المنصة العالية .

— ما هي احسن رواياتك التمثيلية ؟

ارتسمت على اسارير وجهه ابتسامة وقال : سئلت اعرابية عن افضل بنيها في عينيها فقالت : اهو الحسن ام الحسين ام احمد ام علي . والله لا ادري من . فكلهم جميل في عيني .

وتوقف هنية عن الكلام ثم قال : اما انا فعلي نقيض تلك الاعرابية ، لا ارى شيئاً جميلاً في تآليفي الادبية . ولكن اذا كان لا بد من مفاضلة فاني ارى « شهداء نجران » و« العمرين » و« النعمان » و « البطل المجهول » افضلها . اما الرواية التي تعجب الشعب فهي رواية « يوسف بك كرم » .

— كيف كنت تؤلف رواياتك ؟

— كنت اؤلف في الليل ، في الظلمة ، دون ان اكتبها ، ثم امليها في النهار على تلاميذي فيظن الناس اني ارتجل الروايات .

— وماذا انتفعت من مؤلفاتك ؟

— ابتسم واجاب : قال احد الظرفاء لرجل اسمه نوح ، كان نوتياً ومات مصلوباً على احد صواري سفينته « لم تستفد يا نوح من سفينتك الا الصلب ... » وانا (اضاف الخوري حنا) لم استفد من تآليفي سوى التصفيق فلو كنت عياً على حد قول جبران خليل جبران لكان ذلك افضل من بلاغتي وفصاحتي بين اناس لا يسمعون .

— اين تآليفك ؟

— ترجمت قسماً من الانياذة وفقد ... والله اعلم اين مقره . امـا عظاتي الثلاثماية فقد استعارها مني الاب ميشال اليسوعي ثم قال لي انها فقدت منه .

ولي « تاريخ الآداب العربية » لا اعرف كيف انشقت الارض وابتلعته . ورواياتي التمثيلية مبعثرة هناك وهنالك . يوجد قسم منها في اخوية « مار لويس غونزاغا » وقسم آخر عندي وقسم كبير عند بعض تلاميذي الذين نسخوها وبقيت المخطوطات الاصلية لديهم .

— هل تميل بعد الى التأليف ؟

— نعم . نعم . عندما ابل من مرضي سأباشر تأليفاً احفظه في سري وقد اوفق الى اخراجه . ولكن لا اذكره الآن لاحد ، لاني لا اريد ان يقال عني « بدأ في بناء ولم ينجزه » .

ان في رأسي طبخة اعدها اكلة شهية لابناء عصري وفي نيتي نظم قصيدة اختم بها اثاري الشعرية وساوصي بتلاوتها على قبري .

وسكت الخوري حنا ... فقد اعياه الكلام .

وانصرفت من عنده معجباً بهذا النشاط العقلي الذي لم تضعفه الثمانون وبتلك الهمة القعساء التي لم تشخ وبذلك العقل الخلاق الذي لم يرهقه الانتاج ...

الخوري حنا طنوس المعلم

من الناس من يكون علمهم لنفسهم ومنهم من يكون علمهم لسواهم . اما الخوري حنا طنوس فكان علمه لنفسه ولم ينجح كمعلم نجاحه كاديب وكشاعر وكمؤلف مسرحي . فسعة اطلاعه ، وثقافته الشاملة ، وغزارة مادته ، كانت تحمله على الاستطراد في ابحاثه بحيث ينتقل من موضوع الى آخر بدلاً من حصر بحثه في موضوع واحد ولا ينتقل الى سواه قبل ايفائه حقه من الشرح والتحليل .

وكان كسولاً لا يستعد الاستعداد الكافي لاعطاء دروسه ، بل كان يعتمد على الارتجال في كل شيء ، متكلاً على مقدرته وذكائه وذاكرته . اما اصلاح الفروض وما شاكله من واجبات المعلم فما كان يوليه كبير اهتمام ، فضلاً عن انه قلما كان يتقيد بالوقت ، فلا يحضر الى الصف الا متأخراً ، هذا اذا لم ينسَ الحضور .

لذلك كانت نظرة المشرفين على المدارس الى الخوري حنا طنوس كمعلم ، غير نظرتهم اليه كأديب وكشاعر وكخطيب ومؤلف . وكثيراً ما كانوا يأخذون عليه عدم انضباطه وقلة تقيده بالوقت والنظام ، واهماله شكله الخارجي ومظهره .

اما تلاميذه ، الذين يروون عنه القصص والروايات الطريفة ، فكانوا يحبونه جداً ومعجبين به وقادرين ذكاءه ومقدرته ، الا انهم ما كانوا يخافونه او يرهبونه ، لانهم كانوا يعرفونه طيب القلب ، متساهلاً شفوقاً .

وتلاميذه الذين يعدون بالالوف كان الخوري حنا يعرفهم ويروي عن كل منهم النوادر والطرائف . وفي عداد تلاميذه المشاهير الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح ، ويوسف السودا ...

الوعد السر

سئل قبل وفاته ببضعة ايام عن تلميذه الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية ؛ وعن ذكرياته ؛ فغارت عينا المعلم كانهما في عالم بعيد... هوذا ينتقل الى عهد الشباب ؛ الى صفاء العيش والانتاج الخصيب ؛ يوم كان اسم الخوري حنا سراجاً على علم ؛ وكانت مواعظه في كبريات الكنائس تهز نفوس المؤمنين ؛ وتأخذ بمجامع قلوبهم ؛ وكانت مسرحياته تمثل على مختلف المسارح في القرى والمدن ؛ لتبث الروح القومي وتحبب الحرية والاستقلال ؛ والفضائل والمروءات الى النفوس... ثم ومضت عينا الشيخ الميت تنبئان بانه رجع من سفرته الخاطفة الى تلك الايام الذاهبة ؛ فاستوى على سريره وقال :

— نعم... ان الشيخ بشاره درس علي في كلية الآباء اليسوعيين واذكر انه كان المجلي دائماً في المسابقات.

ثم ابتسم الخوري حنا وضحك لذكرى مرت في خاطره ؛ وقال :

— اسمع هذه القصة الحلوة ؛ ولا اعلم ما اذا كان فخامة الرئيس الاول قد نسيها . في احدى السنين . نال التلميذ النجيب بشاره خليل الخوري جائزة الشرف للغة العربية ؛ وكان شديد الاهتمام والرغبة في معرفة ما اذا كان هو الذي استحق الجائزة ؛ فجاءني يلح في السؤال. ثم قال لي بين الجد والابتسام « اذا بشرتني يا ابت باني الفائز اعطيتك عشر ليرات » وكانت الليرة في ذلك العهد الخير ؛ ليرة ذهبية ؛ يعني خا ذقن... واستغربت هذه البادرة فذهبت الى الاب « كاتان » رئيس الكلية واخبرته بما جرى. فقال لي الاب كاتان : يمكنك ان تخبره انه هو الفائز شرط الا يعرف ذلك سواه والا حرمته الجائزة.

قال الخوري حنا : رأيت ان اخبر التلميذ بشاره حقيقة الامر ؛ اذ علمت ان المرحوم والده الذي كان يحبه حباً جماً ويعلق عليه الامال الكبيرة ؛ كان قد وعده ب... فما اذا نال جائزة الشرف للغة العربية ؛ ولم يكن الوالد الكبير المرحوم الشيخ خليل ليرفض طلباً لابنه.

— وبماذا وعده يا ابت ؟

فاطرق الخوري حنا مبتسماً ثم قال : هذه المسألة تخص الآن فخامة رئيس الجمهورية ؛ اسألوه فقد يخبركم

ما كاد هذا الحديث تنشره مجلة الجمهور في عددها ٤١٨ تاريخ ١٥/٤/١٩٤٦ ، حتى تناقلته سائر المجلات والصحف . وتهافت الى القصر الجمهوري غير واحد من الوزراء والنواب يسألون الرئيس بشارة الخوري عن وعد والده له ، واتصل غير واحد بالخوري حنا يسألونه عن هذا الوعد . فكان رحمه الله يعتصم بالصمت ويجيب باسماً : اسألوا فخامة الرئيس .

مات الخوري حنا طنوس ومات معه ذلك الوعد السر .

٥

اذا استرسلت في التحدث عنه كمعلم وفي سرد القصص التي يرويها تلاميذه لطال بي المجال . لذلك ساقتصر على بعض منها .

يمشي تحت الامطار والشمسية تحت ابطه

كانت الامطار تتساقط بغزارة والخوري حنا سائر على الطريق والمياه قد بللت ثيابه . فانتهره احد الذين شاهدوه على هذه الحال ، قائلاً : ما الذي يوجب عليك السير تحت هذه الامطار ؟

— كي لا اتأخر عن الصف .

— اي صف ؟ هذا نهار الخميس وبعد الظهر تعطيل ؟

— اف ، سها عن بالي ذلك ففي اعتقادي اننا في نهار الجمعة .

— طيب ولماذا لا تفتح الشمسية فتقيك الامطار ؟

— لعن الله الشيطان فقد نسيتها في غرفتي يوم انا باشد الحاجة اليها .

واطلق الحاضرون ضحكات مدوية ، واستغرقوا في الضحك ، حتى كادوا يستلقون على ظهورهم . ان الشمسية التي قال الخوري حنا انه نسيها في غرفته ، فاضطر الى السير تحت الامطار انما كانت معه ، تحت ابطه وهو غير دار بها .

يغفو وعيناه مفتوحتان

ومن غرائب ما يروى عنه تلاميذه انه كان يغفو وعيناه مفتوحتان . وقد قص الاب الياس شاهين مدير الدروس العربية في جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين في بيروت النادرة التالية :

... كنت — يروي الاب شاهين — في مدرسة مار يوحنا مارون في

« كفرحي » من قضاء البترون ، تلميذاً في الصف الذي يعلمه الخوري حنا طنوس . الا ان معلمنا ما كان يحضر الى الصف الا متأخراً ، مدعياً انه لا يسمع قرع الجرس الذي ينبه الى بدء الدروس . فكان التلاميذ اثناء غياب المعلم ، يتشيطنون ، ويضجون ، ويلعبون . مما لفت انتباه رئيس المدرسة وعاتب معلمنا على تأخره ، وعهد الي امر تنبيهه ساعة يدق الجرس تلافياً لكل تأخر . فكنت ساعة يدق الجرس اصعد الى غرفة الخوري حنا واقول له : لقد دق الجرس يا معلمنا . وبهذه الطريقة اصبح الخوري حنا لا يتأخر بل يحضر الى الصف عند ابتدائه .

وقد حدث لي ان صعدت احد الايام الى غرفة الخوري حنا ورأيته مستلقياً على سريره ، فحييته وقلت له : « لقد دق الجرس يا معلمي » . فالتفت الي وهز رأسه دلالة على انه سمعني .

نزلت الى الصف ، وانتظرت مع رفاقي خمس دقائق ثم عشر ، والخوري حنا لم يحضر . ومرت ربع ساعة ومعلمنا غائب . فقامت قيامة التلاميذ وشرعنا نتراشق بقطع الطبشور ونقفز على الطاولات ونضج ونصيح حتى بلغت ضجتنا مسامع الاب الرئيس ، فهرول الى الصف . ولما لم يجد فيه معلمنا سألني عما اذا كنت نبهته كالعادة الى ان الجرس قد دق ، فاجبته بالايجاب. فاوفدني اليه لاستدعائه الى الصف ، ففعلت . ولما سأله الاب الرئيس معاتباً عن سبب تأخره ، اجاب انه لم يسمع دق الجرس واني انا لم انبهه كالعادة المألوفة . فقلت له اني صعدت الى غرفته ونبهته . فاجاب بغضب : كلا انه لم يرني ولم يسمعني لانه كان نائماً . فقلت له : انك لم تكن غافياً يا معلمي فعيناك كانتا مفتوحتين وقد اشرت برأسك برهاناً على انك رأيتني وسمعتني .

فاجاب وقد بلغ بـه الغضب اشده : ألا تعرف اني اغفو وعيناي مفتوحتان ؟

فابتسم الاب الرئيس لهذه النكتة وضحك جميع التلاميذ . فهدأ الجو وصفا خاطر الخوري حنا ، وقال : طيب طيب خذوا فرضاً لهذا المساء . اعدوا اقلامكم ودفاتركم .

وشرع يذرع الغرفة خطى ذهاباً واياباً ، واملى علينا شعراً تعريب قصيدة « فكتور هيجو » واترلو .

ويعلق الاب شاهين على هذه الحادثة فيقول : عندما كبرت نسيت

مما كنت اعرف من القصص والنوادر المدرسية الشيء الكثير . انما بقيت حية في ذاكرتي قصة الخوري حنا الذي يغفو وعيناه مفتوحتان . ما كنت اشك في صدقه ولا في كونه لم يرني ويسمعني على الرغم من عينيه المفتوحتين واشارة رأسه . الا انني ما كنت اعرف كيف اعلل واحلل وافسر وضعه في ذلك الحين . ومع تقدم السن واستكمالي دروسي واتساع اطلاعي على الشؤون النفسانية انحلت العقدة وفهمت ان الخوري حنا كان ساعة كلمته غائباً عن المرئيات والحسيات، منهمكاً في تعريب قصيدة «واترلو» شعراً . فعيناه مفتوحتان لكنه لا يرى بهما او لا يدرك الصورة التي ترتسم فيهما . فكانت صورتي فيه ، لكنها لم تكن له لانه كان في حالة لاوعي .

وللخوري يوحنا طنوس : على ذمة الاب الياس شاهين ، تعريب عدة قصائد شعراً ، امثال :

— المصلوب للشاعر لامارتين .
— الحيوانات المصابة بالطاعون للشاعر لافونتين
— الغراب والثعلب للشاعر لافونتين .
— اوغست .
— مجد الرومان وانحطاطهم .

من ذكريات الاستاذ يوسف السودا

سأل احد تلاميذه في معهد القديس يوسف للآباء اليسوعيين الاستاذ يوسف السودا عن ذكرياته عن الخوري حنا فقال :

كان الخوري حنا من افضل الكهنة تقى وسيرة ، ومن اطيبهم سريرة واحلاهم معشرا . وكان بين الشعراء اسهلهم نظماً واغزرهم مادة واسرعهم خاطرا . اذكر فيما اذكر انه كان في مسرحياته ينتقي من يمثل ادوارها من الطلاب ويدخل في الادوار قصائد تلاءم ومزاج الممثل وطباعه واخلاقه[1] . وحدث مرة انه كان قد عهد الي بتمثيل دور عبد العزّى[2] في مسرحية

---

١) كما كان يفعل المؤلف المسرحي الشهير موليار الذي كان يدخل النمال في الادوار التي يمثلها هو شخصياً .

٢) عبد العزّى في مسرحية شهداء نجران كان سابقاً وزيراً للحرث ملك نجران الذي عزله من منصبه لاتهامه اياه بالخيانة . فراح عندئذ يكيد للملك . وقتل ابنه عبداقه بخنجر اخيه عبد شمس ليوقع الفتنة بين الملك وابنه . ثم لجأ الى ذي نواس ملك حمير يستعديه على ملك نجران النصراني .

« شهداء نجران » فترددت في قبول ذلك الدور لخلوه من قصيدة . ولما اطلعته على ذلك استغرق في الضحك وقال : « ما دام هذا هو سبب عدم رغبتك في تمثيل هذا الدور : الحل بسيط . اكتب هذه القصيدة » .

واملى علي قصيدة ادخل اسمي فيها اذكر منها ما يلي :

اني استعرت بنار الحقد واحتبكت ... في الصدر حيات سم كلها سودا
ويل العداة وويل الكل من غضبي ... فلست عن كيد خصمي اليوم مردودا
لا يطفئ النار في صدري متى اندلعت ... الا اللهيب على الاعداء موقودا
وليس يروي غليلي من لظى حنقي ... غير الدماء تغطي السهل والبيدا
وليس يغلبني في كيده احـد ... انس وجن وما استثنيت صنديدا
ان كان يعبد غيري بعض امة ... فلست اعرف غير البغض معبودا
يا حارث السوء كن مني على وجل ... جردت سيف انتقامي اليوم تجريدا
يا آل نجران قصدي اليوم احقكم ... قتلاً وذبحاً وتشنيعاً وتنكيدا
هذا وعيدي فلا رب يخلصكم ... اني مبددكم يا قوم تبديـدا

يراهن ويربح ثلاثة ارطال من المشمش اللوزي

ومن ذكريات احد تلاميذه الشاعر انور امام الذي درس عليه في بانياس فكان ، على حد تعبيره ، الصق طلابه به ، واكثرهم افادة منه : ما انقله حرفياً :

« ماذا اقول في الخوري حنا طنوس ؟

ارئيساً روحياً كان ام واعظاً اجتماعياً يتقاطر لسماع عظاته وارشاداته المسلمون قبل المسيحيين ، ام اديباً فذاً دان له الحرف وطاوعته الكلمة ، يذكرنا بيانه بفحول الادب العباسي ؟ اعالماً كان من علماء اللغة ام شاعراً ملهماً ، يصيد بكر المعاني ليكسوها درر الالفاظ ، ويجلوها عرائس لا ابهى ولا اجمل ، ام استاذاً كبيراً عشق الادب العربي فاولاه عنايته تدريساً وتأليفاً ، ام عالماً رياضياً يحل مسائل الجبر العويصة ، كما تحل مسائل الحساب الذهني ، ام رائداً للمسرح العربي القومي وضع من المسرحيات المستقاة من التاريخ العربي ، ما بلغ حد الابداع ، ام خطيباً دانت له اعواد المنابر يتلاعب بأفئدة السامعين وتتدفق الفصاحة والبلاغة على لسانه تدفق السيل ، ام رائداً من رواد القومية العربية ، غناها بشعره ، وابرزها في مسرحياته ، وبثها في طلابه ، ليتموا رسالته فكانوا من بعده مشعل كفاح ونضال ؟

انه كان كل هؤلاء جميعاً .

كان يدرسنا الادب العربي من العصر الجاهلي الى صدر الاسلام الى العصر الاموي الى العصر العباسي فالى عصر النهضة . يملي علينا الدروس على شكل محاضرات ولم نره مرة استعان بكتاب . يملي ونكتب ودخان اللفائف يتصاعد حلقات حلقات ونظراته تشرد في البعيد البعيد . وبين حين وآخر تومض في عينيه لمحة خاطفة تدلنا على انه تصيد فكرة جديدة . وكانت طريقته تعتمد على البحث والتحليل لنفسية الشاعر ولما تأثر به ؛ مظهراً حسناته وعيوبه وذلك ببحث دقيق ممتع تقصر عنه حتى كتب الادب الاجنبية . وكثيراً ما كنا نقارن بين ما يمليه علينا وبين دروس الادب الفرنسي «ديجرانج» فنجد ان دروس استاذنا اكمل واجمل وامتن واعمق .

حين تنظر اليه تشعر بالطمأنينة والثقة تملآن نفسك وروحك . كان محبة خالصة وحناناً جماً ، طلابه ابناؤه .

واثناء فترة الصيام عند المسيحيين كان يعظ في الكنيسة فكانت دارها تغص بالمستمعين المسلمين لان وعظه كان شاملاً انسانياً رائده المحبة والخير لبني البشر اجمع .

ومما اذكره عنه هذه النادرة التي تدل على ثقة الخوري حنا بطلابه .

دعاني اليه في نهاية عام ١٩٣٢ وقال لي امام جمع من الاساتذة : يا انور لقد تراهنت مع الاستاذ وديع حداد (استاذنا في اللغة الانكليزية) على انك تحفظ غيباً ستين بيتاً من الشعر الجاهلي في ساعة واحدة . وله امر انتقاء القصيدة . فلا تجعلني في الرهان خاسراً وتخيب املي . اجبته : على الله الاتكال . فاختار لي الاستاذ حداد ، لامية العرب للشنفرى وما كادت تمر الساعة حتى عدت اليه وقد حفظت القصيدة بكاملها ، فربح استاذي الرهان وكان ثلاثة ارطال من المشمش اللوزي نلت منها نصيبي كباقي الاساتذة .

لم اكن ادري عهد ذاك انه ، رحمه الله ، وقد لمس لدي ذاكرة قوية ، يريد أن ينميها ويبث فيّ الثقة بالنفس . وقد جنيت من ذلك اطيب الثمار حتى اني كنت الشاعر الوحيد الذي القى قصيدته غيباً في مهرجان الشعر الرابع وذكرى ابي فراس الحمداني في حلب وقد اربت القصيدة على السبعين بيتاً ! .

مواهبه

من يصدق ان هذا الشخص المهمل الذري المظهر والشكل كان غني العقل، غني القلب، غني الاخلاق. فقلما توافرت في شخص من الثروات العقلية والروحية والاخلاقية، ما توافر في شخصية الخوري حنا طنوس. كان كريم الخلق، ندي الكف، مترفعاً عن المادة، محتقراً للخيرات الترابية، سمح الاخلاق، متواضعاً. كان حكيماً اذا استشرته، وشاباً اذا هوسته، وفتيّ اذا داعبته، وطفلاً اذا لاعبته، وحجة اذا ناقشته.

كاهن ورع تقي، ترك الدنيا وتخلى عن خيراتها الترابية وزهد في المغريات الزمنية، فرفس المال والشهرة والمجد وكل ما يتكالب في سبيل الحصول عليه انسان، واستظل لواء الكهنوت جندياً في خدمة جوهر الدين ومثله واهدافه السامية. عاش فقيراً ومات فقيراً لا يملك حتى ثمار قلمه ونتاج عقله.

الخوري حنا يلقب نفسه

سألته مرة : لماذا انت على هذه الحال يا ابانا؟

اجاب بالفرنسية : طرفا الحبل يلتقيان (Les deux extrêmes se touchent)

ثم فكر قليلاً واضاف : اسمي حنا ولكل اسم حنا لقب.

فهناك يوحنا المعمدان، ويوحنا الانجيلي، ويوحنا فم الذهب، ويوحنا الدمشقي، ويوحنا الحبيب، ويوحنا الصليب (Jean de la Croix) ويوحنا الشجاع (Jean sans peur) ويوحنا دون ارض (Jean sans terre) وفي جوارنا يوحنا الكذاب، ويوحنا البكاء.

وصمت. فقلت له : وبعد فأي لقب يلازمك انت. ضحك ضحكة لا اعذب ولا احلى، واجاب بالفرنسية متعمداً التورية في اللفظة : Jean sans livre اي حنا لا كتاب ولا مال. ثم قال مرتجلاً :

نكل حنا بهذا الكون شهرته   وحنا طنوس لا طرس ولا فلس

وفعلاً لم يكن لديه من كل تآليفه واثاره كتاب واحد او مخطوطة واحدة، كما انه كان لا يملك فلساً. وعندما كان يصله شيء من المال كان يبذره ويوزعه دون حساب. كان يؤلف ويرمي وتآليفه جمعها سواه وهنالك قسم كبير منها لا تعرف له مقراً.

اعتزل الدنيا ؛ والعزلة — كما قال امين الريحاني — داء او دواء او غذاء . فكانت للخوري حنا الغذاء كل الغذاء . كانت غذاءه الروحي استمد منها تأملاته الروحية ؛ كانت غذاءه الفكري ينهل منها تفكيره . كانت غذاءه الخيالي والادبي استوحاها في اشعاره وروائعه الادبية .

وكان واسع الآفاق ، عميق الثقافة ، شامل الاطلاع ، يجمع في شخصيته الى خصب الخيال عقلاً رياضياً مدهشاً حتى انه كان ، وهو في عقده الثامن ، يناظر طلاب الهندسة في حل عمليات حسابية و « حزازير » يقتضي حلها معرفة تامة بالعلوم الهندسية والجبرية والمام بالعلوم الفيزيائية والكيمائية .

ورثت النقيضين ، الشاعرية من والدي والعقل الرياضي من خالي

وكنا نستغرب هذه المواهب المتناقضة المتآلفة فيه : مواهب الرياضيات والحسابات ، ومواهب الشعر والخيال . فسألناه مرة عن سر اجتماعها فيه فقال : والدي كان شاعراً فورثت عنه الخيال والشاعرية ، وخالي «فنيانوس» كان ذا عقل حسابي مدهش مع انه كان امياً ؛ فورثت عنه العقل الرياضي .

ومما يروى عن خاله فنيانوس انه حصل مرة عهد ذاك قحل في المواسم . فكان ابناء منطقة البترون يقصدون في عمشيت من منطقة جبيل شخصاً ثرياً عرف « بطوبيا عمشيت » يمتارون من محاصيل اراضيه واملاكه من الحنطة ومختلف الحبوب ما يقتاتون به .

وكان طوبيا المذكور قد وصلت اليه عن فنيانوس الاخبار المدهشة . فلما قصده ليبتاع من عنده ما يحتاج اليه من مواد غذائية ، احب ان يمتحن ذكاءه ويتثبت شخصياً من موهبته الرياضية ومقدرته الحسابية . فقال له : انا مستعد لان البي طلبك اذا استطعت ان تقوم بالعمليات الحسابية التي ساطرحها عليك . وان اخطأت في حساباتك رددتك خائباً دون ان ابيعك شيئاً ولو دفعت اضعاف اضعاف ثمن ما تود شراءه .

واستقدم طوبيا حاسبه وشرع يبسط على فنيانوس العملية الحسابية ، والكاتب يدون ذلك . فقال له :

اذا اشتريت خمسة قناطير قمح لقاء كذا بشالك الرطل ، واربعة قناطير ونصف شعير لقاء كذا نحاسة الاقة ، وقنطارين وربع حمص لقاء كذا... الاقة وربع (وتعددت الاصناف وتعددت الاسعار) فكم يكون ثمن كل ذلك ؟

وبعد فترة قليلة من الوقت اجابه فنيانوس : وقد كان امياً لا يحسن الكتابة ولا القراءة : يكون ثمن كل ذلك مبلغ كذا ...

وعندما انتهى الحاسب من عمليات الضرب والجمع اعطى النتيجة وكان الفارق بين جوابه وجواب فنيانوس بضعة بشالك . فقال طوبيا لفنيانوس : لن ابيعك شيئاً اذن : لانك اخطأت في الجواب . فاجابه فنيانوس : حاسبك اخطأ وجوابي هو الصحيح . وراجع الكاتب قيوده فثبت ان الحق الى جانب فنيانوس وان الجواب الذي اعطاه كان الجواب الصحيح . عندئذ تأكد لطوبيا عمشيت صدق ما يروى عن فنيانوس وعن قوة موهبته الحسابية فوهبه مجاناً ضعف ما جاء يشتري من حنطة وحبوب .

قوة ذاكرته

وكان الخوري حنا يتمتع بحافظة غريبة : كما ذكرت سابقاً : حتى انه كان راوية لكل قصائده ومختلف رواياته يستعيدها ساعة يطلب منه ذلك . واذا ضاع الكثير من اثاره الشعرية ونتاجه الادبي فلانه كان لا يكتب شيئاً . وما بقي من اثاره الادبية فهو ما دونه سواه او ما استكتبه اياه اصدقاؤه . ويروى في هذا الصدد الاعاجيب والمدهشات اروي منها، على سبيل المثال، ما كنت فيه شاهد عيان وسمع.

النادرة الاولى

كنت واترابا لي ؛ عهد التلمذة والدراسة ؛ نتمرن على تمثيل رواية البطل المجهول[1] . وبعد حفظنا ادوارنا واتقاننا اداءها، ارتأينا ان ندعو الخوري حنا لابداء رأيه فينا قبل تمثيل الرواية امام الجمهور، فلبى الدعوة .

وكنت انا امثل دور قسطنطين . وما كدت اصل في اخدى القصائد التي يخاطب فيها قسطنطين والده مالك ابي الغيث ، الى البيتين التاليين :

ادري بان العدى في الليل زاحفة تريد تحتل ظلماً قمة الجبل
ادري بان الرقيب اليوم يغدرنا ادري بان ابي قد خان واخجلي

ما كدت الفظ « ابي قد خان » حتى انتفض الخوري حنا بقامته المديدة الفارعة وصاح غاضباً والشرر يتطاير من عينيه ، من اجاز لكم ان

١) مقتطف من هذه المسرحية في الصفحة ٧٥ وما يليها .

تحرفوا قصائدي وتصلحوها . انا لم اقل « ابي قد خان » بل « ابي الغدّار ».
اجبته باننا نسخنا هذا المشهد من المنتخبات الادبية لجامعها الاب بشير
اجيا اليسوعي . وأريته النص المثبت في الكتاب المذكور . فقال : لا لا .
انا لم اقل ذلك اروني المخطوطة الاصلية . هنالك تحريف .

وذهبنا الى بيت الاب يوسف فارس وفتشنا في الصناديق عن المخطوطة الاصلية فعثرنا عليها مهلهلة ممزقة واتينا بها الخوري حنا فاذا البيت هو كما يلي :

ادري بان الرقيب اليوم يغدرنـا ادري بان ابي الغدّار واخجلي

عندئذ ضرب الخوري حنا كفه على جبينه وقال : انا الخوري حنا لا انسى شيئاً لا انسى شيئاً . كل حرف من اثاري مطبوع هنا (واشار الى رأسه) .

وشرع يلقي علينا درساً في الفرق بين «قد خان» وكلمة « غدّار » . فالدال المشددة التي تليها الف وراء تجعل الكلمة احسن اداء واقوى تأثيراً في الجماهير واوفى للمعنى المقصود ، فضلاً عن انها تفسح للممثل مجال القيام بالاشارة اللازمة التي تكمل معنى اللفظة .

اما عبارة « قد خان » السلسلة الناعمة ، فاين هي من كلمة « غدّار » التي ان لفظها الممثل على المسرح كما يجب ان تلفظ ، فاشبع الدال تشديداً ، واطال نفسه مع الالف ، تهدر بين الجماهير هديراً يصل الى اقصى القاعة .

النادرة الثانية

اما النادرة الثانية فقد حدثت في صيف عام ١٩٤٦ . كان حزب الكتائب اللبنانية قد اعد حفلة خطابية في قرية كفيفان من قضاء البترون ، دعا الى حضورها جميع اهالي المنطقة . وطبعت اعلانات ووزعت مناشير تحمل اسماء الخطباء واسم الخوري حنا طنوس في مقدمتهم . الا ان المرحوم والدي الذي كان يعرف الخوري حنا حق المعرفة كان ينبهني قائلاً : لا تنس الخوري حنا . لاحقه كي لا يسهو باله عن نظم قصيدته . فكنت اذهب اليه صباحاً طالباً منه ان يملي علي قصيدته لاتثبت من انه قد اعدها فيقول : عد في المساء . واعود في المساء فيقول : لم انظمها بعد ، عد صباح غد باكراً . وتمضي الايام والخوري حنا لا ينفذ وعده .

واتى نهار السبت وشاعرنا يؤرجحني بين يوم وآخر وبين صباح ومساء ، وموعد الحفلة في النهار التالي اي نهار الاحد .

وصعد المرحوم والدي الى القرية وسألني عما فعل الخوري حنا فاجبته : لا شيء . فأوفدني اليه داعياً اياه الى قضاء العشية معاً . ففعلت . ولبى الخوري حنا الدعوة حالاً وهرول مسرعاً وهو يجهل سبب الدعوة .

ولما فهم المرحوم والدي ان الخوري حنا لم ينظم قصيدته بعد . تأبط ذراعه وسار معه الى احدى غرف البيت . واجلسه على مقعد بعد ان وضع امامه طبقين من العنب والتين وكميات من التنائف وقال له « لن تخرج من هنا الا بعد نظمك القصيدة . وهذا ولدي معك فاستكتبه ما تجود به قريحتك » .

واغلق الباب علينا . فقام الخوري حنا غاضباً حانقاً مزمجراً : يضرب على الباب بقبضتي يديه صارخاً : ما هذا العمل ؟ ما هذه الحيلة ؟ هل انا ولد ليزربني ؟ ولما ثبت له ان لا مجال للخروج قال : لا حول ولا قوة الا بالله العظيم . والتفت الى طبقي العنب والتين فطفت على وجهه ابتسامة لا احلى ولا أعذب . فاشعل لفافة من التبغ وارتد الى الطبقين يلتهم العنب والتين وقام يتمشى وقال : اكتب . ولم تمض علينا ثلاثة ارباع الساعة حتى كان الخوري حنا قد املى علي ستين بيتاً من الشعر . واطل صباح اليوم التالي فقصدت شاعرنا اعرض عليه قصيدته بعد ان نسختها بخط جلي لعله يعيد النظر فيها فيصحح وينقح ويضبط بعض عباراتها وقوافيها اذا وجد ما يحتاج الى ذلك . فقطب ما بين حاجبيه وصاح بي غاضباً : عد الى بيتك . انت غبي جاهل . الا تعرف الخوري حنا . القصيدة اصبحت مطبوعة هنا (واشار الى راسه) .

وابتدأ المهرجان الخطابي الساعة الثالثة بعد الظهر . وكانت قاعة مدرسة كفيفان وساحاتها غاصة بالجماهير . اما الخوري حنا فلم يحضر . اسرعت اليه في غوما لارى ما اصابه ودهاه . فاذا هو يلعب بالورق مع ثلاثة من ابناء القرية . ولما سألته عن سبب عدم حضوره المهرجان ضرب كعادته بكفه على جبهته وقال : نسيت نسيت .

وانتقلنا الى كفيفان الى حيث اقيم المهرجان ، فصعد شاعرنا تواً الى المنبر والقى قصيدته دون ان يحمل ورقة . فاذا معظمها يختلف عن القصيدة التي املاها علي عشية اليوم السابق وكان يحمل على كتفيه عبء الثمانين عاماً من العمر .

اما قصيدته التي يربي عدد ابياتها على الستين فاقتطف منها ما يلي :

لئن يفتخر في الناس يوماً مفـاخر فكل فخار خص بابن الكتائب
فلله من جمعية عز شانهـا فكانت لنـا اعجوبة في العجائب
عـلى صخرة المبدا القويم اساسهـا فليست تبالي عند عصف النوائب
فخمسون الفاً عدهم كـل واحد بالف اذا عدت رجال التحارب
ثعـالب تعوي كي تهد حصونها وهل يرهبن اسدا عواء الثعالب
نسور الفلا في الجو حلق سربها ومأكولهـا لحم القطا والارانب

٥

يبيب بكم ارز الخلود : انا لكم لكم وحدكم من دون كل الاجانب
الا واحفظوا عهدي نظير جدودكم لتبعـد عني كل وثبـة واثب
الا واجمعـوا حولي الشباب كتائباً وصونوا ترابي الحر من كل غاصب
الا واجعلوا لبنـان رب قلوبكم ومرمى امانيكم ومبـدا المذاهب
الا واجعلوا لبنـان في الشرق جنة تتوق لمرآهـا ملوك الاعارب
لتخفق في الشرق القصي بنوده وتعنو لعليـاه عروش المغارب

الى ان يقول وقد تناول العلم من احد الواقفين الى جنبه :

ايا ارزتي تفديك روحي من الاذى وتفدي بنيك من مقيم وغـائب
وقاك الله العرش من كـل نكبة ورقاك في الافلاك فوق الكواكب
الا حملوني راية الارز لحظة تعيدوا بها عهد الشباب لشائب
وان مت يوماً فادفنوني بظلهـا يجئ رمسي كل آت وذاهب
لان رفاتي تستلذ نسيمهـا وابعث ان مر النسيم بجانبي

٥

وداعاً أيـا أهل المروءة والوفـا الا فاذكروني يا شباب الكتائب

وعام ١٩٤٨ تذكرت الكتائب اللبنانية وصية الخوري حنا فاقامت له في غوما مهرجاناً حافلاً إحياء لذكراه نهار الاحد الواقع في ١٨ نيسان ١٩٤٨ ووضع رئيس الكتائب بلاطة رخامية على قبره . وقد كان لبادرة الكتائب اطيب الاثر في نفوس جميع عارفي الخوري حنا وقادرين فضله ؛ فعنيت الصحف في لبنان عامة والشمال خاصة عن هذا المهرجان المقالات الطوال ، اورد في ما يلي مقتطفات منها .

كتبت صحيفة المستقبل الطرابلسية في عددها رقم ٤١٤ الصادر في ٢٢/٤/١٩٤٨ :

في غوما حيث يرقد فقيد الادب والفصاحة والبلاغة المغفور له الخوري حنا طنوس . في هذه القرية اللبنانية الجميلة احتفل اقليم الشمال في الكتائب اللبنانية بمهرجان لم يشهد الشمال أروع منه. فحضره رئيس الكتائب الاعلى الشيخ بيار الجميل واركان الحزب في بيروت والشمال ودخل موكبهم غوما بين اقواس النصر ومعالم الزين فاستقبلهم الاهالي بالهتاف والتصفيق والخوربة والزغردة . وافتتحت الحفلة الخطابية بالنشيد اللبناني ثم تعاقب على المنبر فطاحل الادباء والشعراء . وفي النهاية وضعت الكتائب لوحة رخامية على ضريح الاب حنا طنوس وغادر الرئيس الاعلى واركان حزبه قرية غوما فشيعتهم الجماهير بالهتافات العالية .

ومما كتبته صحيفة الافكار الطرابلسية في عددها رقم ٤١٥ الصادر في ٢٤/٤/١٩٤٨ :

منذ عامين تقريباً توارى عن دنيا الادب والشعر ابو الادباء والشعراء في لبنان نعني المرحوم الخوري حنا طنوس اول من حمل شهادة دكتوراه في الفلسفة وصاحب عشرات المسرحيات الخالدة والمؤلفات التي لم تطبع بسبب قصر ذات يده ؛ توفاه الله عن عمر حافل بالجهاد في حقل الادب والعلم وتناساه اللبنانيون كما تناسوا الكثيرين مما طواهم الموت على عبقرية بائسة ... غير ان الكتائب اللبنانية التي قطعت على نفسها عهد القيام بالواجب تجاه الذين خدموا ويخدمون لبنان اينما وجدوا لم تنس واجب تكريم هذا العبقري المنسي فاحيت نهار الاحد المنصرم حفلة كبرى في مسقط رأسه « غوما » تكلم فيها عدد من الخطباء ، فمجدوا ذكرى الخوري حنا طنوس وغرسوا على قبره زهرة لن تذبل الى الابد .

— وقد كان المهرجان رائعاً جداً في جو « غوما » هذه البلدة التي انجبت فقيد المعاهد ، والآداب ، واللاهوت ، والفلسفة والشعر ، الخوري حنا طنوس .

.. الرقيب في ٢٤ / ٤. / ١٩٤٨

— الطيب الذكر والواسع الرحمة الاب حنا طنوس كان علماً من اعلام العربية واماماً من ائمة اللغة واحد المساهمين التلائل في وضع حجر الاساس لفن الرواية المسرحية في لغة الضاد ؛ حيث لا تزال مسرحياته الخالدة تمثل حتى اليوم في المعاهد الكبرى . لقد مرت فترة من الزمن على وفاته ، وشاءت الكتائب اللبنانية ذات المكرمات الطيبة في هذا المضمار ان تقيم للمرحوم

حفلة تذكارية في مسقط رأسه « غوما » فكان لها يوم امس حفلة موفقة كل التوفيق . وفّى فيها خطباء المهرجان حق الراحل الكريم من الاشادة بنبوغه واعماله .

الزمان في ١٩ / ٤ / ١٩٤٨

هاتان النادرتان اللتان جرّني سردهما الى ايراد مقتطفات مما كتبته الصحف بشأن الخوري حنا طنوس ، قد رويتهما رغبة في اعطاء فكرة خاطفة عن قوة ذاكرته التي تدعمها وتعززها سرعة خاطر مدهشة .

سرعة خاطره

فسرعة خاطره في قرض الشعر والارتجال حدث عنها ولا حرج . فهنالك عدة مسرحيات املاها على تلاميذه ارتجالا . كان يدعو اليه عدداً من الاشخاص فيوزع عليهم الادوار ثم يملي عليهم وهم يكتبون . وتجمع هذه الادوار المتفرقة فاذا هي مسرحيات .

وبصدد التحدث عن سرعة خاطره اذكر هذه النوادر .

محبتي لعليكم سرية

كان الخوري حنا ، كما روى الدكتور بطرس ديب ، يدرس عام ١٩٣٠ في بانياس (محافظة اللاذقية) في الكلية الوطنية لصاحبها الاستاذ يوسف الخوري الباني[١] . وفي نهاية العام الدراسي نظمت المدرسة حفلة وطلب من الخوري حنا قصيدة يلقيها في هذه المناسبة . الا ان شاعرنا كعادته تهامل وتكاسل ولم ينظم قصيدته الا اثناء قدومه الى الحفلة . فالقاها متطرقاً الى الاخوة القومية التي تجمع الاسلام والمسيحية على صعيد واحد ، مادحاً الطوائف كافة مثنياً على جميع رؤساء الاديان والمذاهب الا الطائفة العلوية التي سها باله عن ذكرها ومدح مشايخها .

اما القصيدة فقد ذكر الاستاذ « انور إمام »[٢] بيتين من مطلعها لا يزالان عالقين في ذاكرته وهما :

بالعلم تحيا الامة العربية ... وبه تشع حياتها القومية
وبفضل انوار المعارف تنجلي ... حجب الظلام وتسطع الحرية

١) والد العقيد في الجيش اللبناني انطون الخوري رئيس للمدرسة الحربية .
٢) انور امام اديب وشاعر وهو احد تلاميذ الخوري حنا في بانياس .

ولما انتهى الخوري حنا من القاء قصيدته اعطيت الكلمة لاحـدى الآنسات الاديبات فاعتلت المنبر شاكرة الخوري حنا مثنية على بلاغته وفصاحته . معاتبة اياه لعدم اشارته الى الطائفة العلوية ومشايخها : وفيما هي تلقي كلمتها والعبارات تتدفق على لسانها : اشرأب الخوري حنا على المنبر . فستوقفها مجيبا فوراً ببيتين جامعين مانعين مقنعين دامغين على نفس وزن قصيدته وقافيتها ورويها . ماذا عساه يقول في هذا الموقف الحرج ؟ وكيف يتخلص من هذا المأزق ؟ اليكم ما اجابها به :

قامت تخاطبني فتاة عليهم   لم قد نسيت مشايخ العلوية؟
فاجبتها : لا تعجلي بملامتي   فمحبتي لعليكم سريـة

فصفق له الجمهور طويلاً واكبر الجميع ذكاءه وفطنته وسرعة خاطره وحسن تخلصه .

وافاك حوت يبلع الحيتانا

عام ١٩٣٣ كان سيادة المطران الياس شديد يقوم بزيارة الى اللاذقية نيابة عن غبطة البطريرك الماروني مار انطون بطرس عريضه . وكان برفقة المطران الخوري حنا طنوس وشقيق المطران الاستاذ نسيب شديد من اده في قضاء البترون .

ودعاهم الى تناول طعام الغداء في بيته قائمقام اللاذقية عبد الله الياس فلبوا الدعوة . وفيما هم على المائدة قدم طبق الدجاج للسطران اولاً ثم للخوري حنا ثانياً . ونسيب شديد الذي كان خفيف الروح يحب المداعبة والنكاهات حضرته النكتة لما رأى الخوري حنا يغرف من طبق الدجاج النصيب الوافر فقال : هذا « الواوي »[١] لن يترك شيئاً من الدجاج .

فاجابه الخوري حنا : احفظ لسانك يا نسيب والاّ ... ثم حضرته النكتة فضحك وارتجل بضعة ابيات من الشعر اثبت البيت الذي لا يزال عالقاً في ذاكرة الرواة : وهو يخاطب في صدره اللاذقية ويشير في عجزه الى الاستاذ نسيب شديد[٢] .

« ان كان حوتك بالعاً يونانه   وافاك حوت يبلع الحيتانا »

١) ان افراد الاسرة المعادية التي ينتمي اليها الخوري حنا ملقبين بالثعالب « واوية » .
٢) كان نسيب شديد بدنا ضخم الجثة .

الخوري حنا والخوري يوسف الحداد[٢]

كان بين الخوري حنا طنوس والخوري يوسف الحداد صداقة شدت اواصرها حرفة الادب وعززتها زمالة في الكهنوت وفي التدريس. وفيما كانا مرة يتناولان طعام الغداء على مائدة البطريركية المارونية في بكركي اديرت اطباق الدجاج مع الارز على المدعوين الجالسين على المائدة ومر الطبق على الخوري يوسف الحداد فاحب ان يختار منه فخذ الدجاج دون الارز انما لم يشأ، حياء وتأدباً، ان يسقط قطعة الدجاج دون الارز فاعتمد الحيلة وشرع يحفر الارز ويزيله من تحت الفخذ حتى سقط اخيراً في صحنه.

وكان الخوري حنا يراقبه فضحك: فاغتاظ الخوري يوسف الحداد من ضحكة الخوري حنا التي لفت بها انتباه الجالسين حول المائدة الى تصرفه فاستاء وارتبك وكان حلو المعشر حاضر الذهن سريع الخاطر. فتغطية لارتباكه وقف وقال: «الخير يعرف اهله فتقدما» فاجابه الخوري حنا فوراً، مكملاً البيت: «من كثر نكشك في الاساس تهدما».

فاستملح الحاضرون حسن تخلص الاب حداد وسرعة خاطر الخوري حنا وصفقوا طويلاً لبادرة الاثنين التي اضفت على المأدبة جواً من المرح المستحب.

الخوري حنا والشيخ رشيد الخازن

كان الخوري حنا طنوس، وقد سيم كاهناً منذ مدة وجيزة، في زيارة لمطران يوسف صقر في بكركي عام ١٨٩٩. وحضر الى بكركي الشيخ رشيد الخازن، قائمقام كسروان فدخل على المطران ولما وقع بصره على الخوري حنا ورآه زري المظهر، اشعث الشعر، طويل الاذنين سأله بلهجته الكسروانية الشهيرة، من اين انت يا شماس؟

- اجابه الخوري حنا: انا بدون استحقاق كاهن.

الشيخ رشيد : كان على ابيك ان يجلب لك قطيعاً من الماعز ترعاه بدلاً من ان يجعل منك كاهناً.

---

٢) يصح في هذين الكاهنين ما قيل في جرير والفرزدق: «الاول يغرف من بحر والثاني ينحت من صخر». فالخوري حنا كان ينشد الشعر كما ينساب ماء الجدول انسياباً ويترك ما ينظمه على سجيته دون تنقيح او تهذيب او تصحيح، بينما الخوري يوسف كان يعيد النظر في ما ينظم ويشبعه تنقيحاً وصقلاً.

المطران صقر : الخوري حنا يا شيخ رشيد من الاشخاص الذين بهم نفتخر ونعتز فهو أديب وشاعر وخطيب .

الشيخ رشيد : ولكن لماذا اذناك كبيرتان مثل اذني الحمار ؟

الخوري حنا : (وقف) سبحانك يا رب كل شيء خلقته بحكمة ما عدا اذني اللتين كان يجب ان تضعهما في رأس هذا الشيخ السفيه .

فضحك عندئذ الشيخ رشيد واستملح النكتة واحب ان يمتحن ذكاء الخوري حنا فقال له : هل تستطيع ان تبرهن على اني سفيه . اجابه الخوري حنا : قال الحكماء المرء باصغريه قلبه ولسانه . وقال السيد المسيح : اللسان ينضح بما في القلب . ولما كان لسانك سفيهاً ، فقلبك سفيه . واذا كان لسانك وقلبك سفيهين فكذلك اذن سفيه .

فضحك الشيخ رشيد ضحكة مدوية وطلب من الخوري حنا ان يعيد هذا البرهان على مسمع من غبطة البطريرك الحويك .

الخوري حنا والمطران بولس عقل

في الثاني عشر من شهر آب عام ١٩٢٧ قام سيادة المطران بولس عقل بزيارة رعائية الى قرية غوما في قضاء البترون . فدعاه الدكتور اديب بعبوص[1] الى تناول طعام الغداء في داره . وفيما كان المطران على المائدة يستمع الى الشعراء يلقون في هذه المناسبة ما تجود به قرائحهم اذا بالخوري حنا يصل ، كعادته ، متأخراً ، ويجلس على كرسي شاغر بعيداً عن المطران . وبعد فترة من الوقت اثر انتهاء الشعراء من القاء قصائدهم انتبه المطران وصاحب الدار الى الخوري حنا فقال له المطران : اهلاً بالخوري حنا ، متى اتيت وما بالك ، خلافاً لعادتك ، صامتاً . الا تسمعنا شيئاً ؟

اجابه الخوري حنا : اخشى الآ يصلك صوتي يا سيدنا .

المطران : صوتك ينفذ الفولاذ .

الخوري حنا : هل يجوز ان تستمعوا الى من هم في مقاعد « الترسيو »[2] بعد ان استمعتم الى من هم في مقاعد « البريمو »[3] .

١) والد الدكتور مالك بعبوص رئيس مجلس ادارة المشروع الاخضر .
٢) مقاعد الدرجة الثالثة .
٣) اي مقاعد الصدارة في الدرجة الاولى .

الدكتور بصبوص : اتتناسى خمر عرس قانا الجليل يا ابت ؟ وادرك المطران ما يعنيه الخوري حنا . فاستدعاه اليه : واجلسه الى يمينه موضحاً جواب الدكتور بصبوص : الخمر المعتّق آخر ما يقدم في الولائم .

وفي ما كان صاحب الدعوة يهم بالتقاط صورة للمطران والخوري حنا : اذا باحد المدعوين يستمهل الدكتور بصبوص قائلاً : لا تصور قبل ان يسمعنا الخوري حنا شيئاً .

وقف الخوري حنا وقال : مروا سيدنا .

فاقترح المطران . وقد اراد ان يضع سرعة خاطر شاعرنا على المحك : نظم بضعة ابيات تكتب تحت الصورة التي ستلتقط في هذه المناسبة . فما كان من الخوري حنا الا ان حك جبينه وارتجل فوراً هذه الابيات :

تجلى الرب في ست(١) بآب على جبل وفي مرأى عجيب
وفي ست وست(٢) قد تجلت بغوسطا صورة الحبر الحبيب
الا فارسم وارخ جل رسم لشخص العقل في دار الاديب

فوراً يراق من العروق دماء

كان ذلك نهار الاحد في السادس والعشرين من ايلول عام ١٩٤٣ يوم تنادى بعض شبان قريته وادباء جوارها لاحياء حفلة تكريمية للخوري حنا بعد ان قضى خمسة واربعين عاماً يعلم ويرشد ويهذب ويهدي ولم يفكر احد في تكريمه . وحرص اولئك الشبان على الا يطلعوا الخوري حنا على هذه الحفلة خوفاً من ان يتهرب ويتغيب عن القرية فيحرمهم بذلك فرصة تكريمه بحضوره .

وعندما اتخذت الترتيبات اللازمة وازف موعد الحفلة واجتمعت الجماهير ارسل الى الخوري حنا من يدعوه ويصحبه الى الحفلة . وحضر الخوري فالقيت خطب وانشدت قصائد . واتى دور شاعرنا لالقاء كلمة الختام فصعد الى المنبر ، والدموع تنهال من عينيه لشدة تأثره ، وارتجل قصيدة وهو يجهش بالبكاء . فما بقي شخص بين الجمهور لم يبك .

وفي ما يلي بعض ابيات منها :

---

١) آب عيد تجلي الرب .
٢) اي ١٢ آب تاريخ ذلك اليوم .

غوما . الفتية بلدتي الحسناء هي في سما النابغين سماء

وبعد تغزله بقريته والتغني بها يقول :

كل المنى في ان ارى لبناننا فردوس عدن ساد فيه رخاء
في ان اراه دولة وشعارها حريـة وعدالة واخاء
قولوا لمن يعتز في امواله شرف الشباب ثقافة وذكاء
وشهامة وحمية ومروءة ومحبة لبلاده ووفاء
ان الفتاة جمالها بخلالها حسن الفتاة طهارة ونقاء
وفتاة غوما كل حسن قد حوت خلقاً وخلقاً فالثناء سواء
كحل بعينيها بدون تكحل سحر الشباب المقلة الكحلاء
كم من فتى فتنت بهم لحاظها انّى لمفتون العيون دواء
وطني عشقته في الصباح ولم احد عن حبه لما اطل مساء
ويزيد حبي ساعة عن ساعة حتى تدق الساعة الخرساء
لو اعوزت وطني الدماء ليرتوي

وهنا تعسر عليه انجاز البيت . فردد الشطر الاول مرة وثانية وثلاثاً ولم يفتح الله عليه بالعجز . عندئذ سحب احد الحاضرين مسدسه وافرغ رصاصاته في الفضاء . فما كان من الخوري حنا، وقد التهب حماسه وبلغ به الهوس اشد حدوده، الآ ان امسك بالطاولة الصغيرة التي امامه وبحركة عصبية رماها وراءه فاتحاً ذراعيه صائحا :

فوراً يراق من العروق دماء

فاذا البيت بعد اكمال عجزه يصبح هكذا :

لو اعوزت وطني الدماء ليرتوي فوراً يراق من العروق دماء

خلصني الصليبي من صليبي

كان احد انسبائه خليل الخوري خليل من قرية مراح الزيات في قضاء البترون قد الم به وجع في عينيه . فقصد الطبيب شاهين الصليبي المتخصص في امراض العيون يستشفيه . ولما ابل من مرضه عاده الخوري حنا وراح يرتجل الشعر مهنئاً اياه بشفائه . فقال له خليل الخوري خليل : مالك توجه الي القصائد وانا لولا الدكتور صليبي لكنت في حالة يرثى لها . لو تنظم لي بيتين او ثلاثة ارسلها الى الطبيب اشكره بها على الخدمة التي اسداها الي :

نكنت لك من الشاكرين. فقال له الخوري حنا لبيك. اذن ارسل هذه الابيات :

سألت الناس عن طب لعيني فدلّوني على أدهى طبيب
طبيب ما له في الارض ثان هو المشهور شاهين الصليبي
صليبي كان من وجع بعيني فخلصني الصليبي من صليبي

دين يفرق مبنيّ على الكذب

كان الخوري حنا عام ١٩٣٣ يدرس في الكلية الوطنية ببانياس (اللاذقية–سوريا) لصاحبها الاستاذ يوسف الخوري البالي. الادب العربي واللغة والترجمة. ففي اواخر السنة الدراسية كان طلابه قد تمرنوا على تمثيل مسرحية للخوري حنا عنوانها «العمران» وهي شعلة حماس واباء ودعوة الى التحرر. معظم اشعارها على وزن وقافية معلقة عمرو بن كلثوم تمجد الحرية والشمائل العربية.

فعلى لسان زهير بن عمرو بن كلثوم يقول الخوري حنا :

حزار الايك كن حرًّا وغرد ولا تعلق بفخ الناصبينا
فما اشهى الحياة اذا استقلت واشقاها اذا ما قيدونا
برانا الله احرارًا كراماً فيا قوم الطغاة ظلمتمونا

وعلى لسان عمرو بن كلثوم «حرام على المستعمرين الطغاة يستعبدون اسود الصحراء ونسور الفلاة، خلوا الفضاء لفارس الزرقاء، ودعوا الوفاء لامة عرباء».

وعندما يقول الملك عمرو بن هند للحارث بن حلزة الذي كان يحذره من غضبة الشعب. «الشعب جمال، بانفها خطام، يقودها اطفال» ؛ يجيبه الحارث: «واذا هاجت الجمال فيا ويح الاطفال والرجال»[1].

فقد حدث قبل موعد تمثيل المسرحية وبعدها ما هو جدير بالذكر انقله كما رواه احد تلاميذ الخوري حنا في تلك المدرسة الاستاذ انور امام.

روى الاستاذ انور امام ما اورده حرفياً: «قبل موعد الحفلة ببضعة ايام اتيت الى الخوري حنا في غرفته وكان كعادته مستلقياً على سريره ينفث

١) مقتطف من هذه المسرحية في الصفحة ٧٦٣ وما يليها.

دخان لفافته في حلقات متصلة . وقلت له : الا تريد ان تلقي كلمة او قصيدة في الحفلة . اجاب . اني اتكلم من اول المسرحية حتى آخرها فقل انت ! انت اصبحت لذلك اهلاً . اجبته انا ساكون في لباس التمثيل فكيف يتسنى لي ذلك ؟ عندئذ سرح الخوري حنا بصره في المجهول وغارت عيناه متنقلاً الى عالم آخر وبدأ يدندن بنغمة يصل الي وقعها ولا اتبين كلماتها . ثم اشعل لفافة من اخرى وقال : ان شئت ان تكتب فافعل ، اما انا فلا اكتب خشية ان انسى . وبدأ ينظم وقد انعزل عما حوله وسبح في مسارح الخيال . وبدأت اكتب ما يمليه ارتجالا فاذا بين يدي القصيدة الشهيرة التي مطلعها :

يا روح يعرب جد العنصر العربي طال الثواء بلحد مظلم خــرب

وجاء يوم الاحتفال — والكلام لانور امام — وغصت باحة المدرسة على رحبها بالمدعوين من سوريا ولبنان يتصدر صفوفهم حاكم دولة العلويين الفرنسي « شوفلر » وبين الفصلين الثاني والثالث اعتلى الخوري حنا المسرح فاستقبل بعاصفة من التصفيق وبدأ يلقي قصيدته بصوته القوي النبرات وانتقائه التعبيري وكل بيت منها يستعاد مرات ومرات .

يا روح يعرب جد العنصر العربي طـال الثواء بلحد مظلم خرب
هبي من الرمس حومي فوق امتنا صبي عليها حميا نخوة العرب
تلك الحميا اذا جاشت مراجلها في الصدر لاشت حميا خمرة العنب
يا ابن الوليد وسيف الله منصلتاً ماذا الرقاد بحمص طيلة الحقب
انفض غبار الردى واستل صارمك الصافي الفرندمصوغاًمن ضيا الشهب
واقطع به رأس شيطان الخمول فقد ساد الخمول وبات العرب في كرب
يا خاملين اتقوا شر الخمول فما من خامل يرتقي في سلم الرتب
بني امية سودوا ان عهدكم قد كان بالفتح عهد الامة الذهبي
في الهند في السند في الافغان سطوتكم في الشرق في الغرب عن بعدوعن كثب

—

يا طارق الفاتح البلدان متخضباً ، سيف الخطابة ماامضى ظبا الخطب
يا فاتح الغرب بعد الشرق منتصراً وفاتح البحر قبل البر بالقضب
سلبت من بطل الاغريق شهرته فيا لها شهرة تغني عن الحسب
هرقل عاموده لقبته جبــلاً لطــارق خالد في ذلك اللقب
قم مع زياد خطيب العرب مستعراً لظى اشد اضطراماً من لظى اللهب
واظهر لهذا الملا طرا وقل لهم ان التعصب مدعاة الى العطب

جدودكم باتحاد الرأي قد فتحوا ممالك الارض من قطب الى قطب
وانتم مـــا فعلتم في تفرقكم هل انزل الله ذا التفريق في الكتب؟
اوصى المسيح بحب الناس قاطبة حتى نكون جميعاً اخوة لاب
وسن احمد دستوراً لامتـــه حتى تو حد في مجموعها العصبي
انجيلكم يا نصارى في كنائسكم وفي الجوامع قرآن لمنتسب
تنقهوا يـــا رجال الدين واتعظوا ولا تشوهوا وجـــه الحق بالريب
فالدين رابطة ما الدين تفرقة دين يفرق مبني عـــلى الكذب

وتعالت هتافات الجماهير تغمرها نشوة الحماس : وقد استخفتها الحمية. مكبرة مهللة مترنحة. والتهبت الاكف مصفقةً : وارتفعت الاصوات مستعيدة هذه الابيات. وباشارة باليدين يوقف الخوري حنا التصفيق والهتافات فتهدأ العاصفة وتستكين وتنحبس الانفاس في الصدور : فالجماهير . وقد تسلط عليها ، رهن نبرة من نبرات صوته ولثغة من لهاته. ويستأنف قصيدته :

اشد رابطة للناس عنصرهم اما اللسان فقد يغني عن النسب
لكل قوم من الاقوام مذهبه ومذهب الكل

ويتوقف شاعرنا ويجيل في الحضور عينيه النارية النظرات فتقع على الاستاذ الشاعر نوفل الياس فيكمل البيت موجهاً اليه الكلام « احذر يا اخا العرب » ويجيبه نوفل الياس حالا : « حب الشرق والعرب » ويشير الخوري حنا برأسه وبكفه معبراً عن عدم رضاه عن الجواب قائلاً : لا . وتشرئب الاعناق وترهف الاسماع فاذا الخوري حنا يعيد البيت فيكمله على هذا الشكل :

لكل قوم من الاقوام مذهبه ومذهب الكل حب العنصر العربي
يا عنصراً طبق الدنيا بشهرته تفديك نفسي من الاكدار والكرب
يا فرع عدنان سدت الكون ممتطياً متن السماكين فوق النجم والسحب
ابناء يعرب نفسي رهن عنصركم ان مت يوماً فدا! كم صحت واطربي
ما رأيكم بانحطاط العرب من افق العليا الى مسكن الاموات بالترب؟
لقد جرى في دماهم غير عنصرهم شأن الحديد مشوباً خالص الذهب
وبدلت صبغة الاعجام صبغتهم يعدي المخالط سوء الخلق كالجرب
ساد الاعاجم في الاعراب واحتكروا امر الجيوش فضاعت نعرة العصب

بتسعة من دعاة العرب رائدهم — روح العروبة قامت دولة العرب
بتسعة من بني الاحرار قائدهم — روح الجدود اعيد المجد للحقب
لا تعذلوا الشيخ ان فارت حميته — فشب ينشد في آبائه النجب
لا تعجبوا يابني الاسلام من هوسي — انا انا من صميم العنصر العربي

التهبت الحفلة ، والكلام للاستاذ انور امام ، بنجاح منقطع النظير . اما الحاكم الفرنسي « شوفلر » وسائر المديرين الفرنسيين وكبار موظفيهم فكان الانفعال ظاهراً على وجوههم والغضب بادياً على قسماتهم بعد ترجمة قصيدة الخوري حنا لهم واطلاعهم على معانيها ومراميها .

وكانت لهاتين المسرحية والقصيدة ذيول ونتائج :

١) اذكت روح الاباء العزبي والقومية العربية وبعثنا روح التحرر من قيود الاستعمار . والقصيدة ظلت سنين عديدة على كل شفة ولسان .

٢) وضع الخوري حنا بمسرحية « العمرين » ومسرحية « النعمان الخامس » التي مثلت في السنة السابقة : الاساس للمسرح القومي في اللاذقية وبقيت بانياس لمدة طويلة مركز الاشعاع بالنسبة لهذا الفن .

٣) ثارت حفيظة الفرنسيين على الكلية الوطنية فقطعوا عنها المعونة السنوية التي كانت تنالها من المفوضية الفرنسية كما حرموها الاساتذة الفرنسيين العسكريين خريجي الجامعات الفرنسية الذين كانوا اثناء خدمتهم العسكرية الالزامية في سوريا يكلفون التدريس في المعاهد لقاء رواتب زهيدة رمزية .

٤) اصبحنا نحن تلاميذ الخوري حنا في نظر الفرنسيين من العناصر الخطرة التي ينظر اليها الاستعمار بريبة وشك .

٥) قام الفرنسيون بضغط كبير لابعاد الخوري حنا طنوس عن سوريا ولجأوا الى البطريركية المارونية في لبنان آنذاك فاستدعته اليها وغادر بانياس في صيف ١٩٣٣ ولم يعد اليها ، فكان آخر عهدنا به . (انتهى ما رواه الاستاذ انور امام) .

القصيدة التي شفعت به وخلصته من الابعاد عن لبنان

. لبى الخوري حنا طنوس دعوة البطريركية المارونية اليها وغادر بانياس . وكان الفرنسيون ينوون ابعاده عن لبنان لولا وساطة غبطة البطريرك الماروني

الذي تذرع بقصيدة للخوري حنا في الفرنسيين فشفعت به لديهم وخلصته من التدابير التي كانوا ينوون اتخاذها بحقه .

اما القصيدة فقد القاها في احتفال اقيم في طرابلس لضباط الجيش الفرنسي بعد الاحتلال ومطلعها :

حيوا الجنود وحيوا صاحب العلم حيّوا الاسود سباع الحرب لا الاجم

وقد جرى له في هذه الحفلة نادرة يجمل بنا ان نذكرها .

كانت الساحة المعدة لحفلة المهرجان غاصة بعشرات الالوف من الناس تقاطروا من كل حدب وصوب لحضور الحفلة الخطابية ومشاهدة الضباط الفرنسيين، بعد تلك الحرب الطاحنة التي انتصر فيها الحلفاء وفي مقدمتهم فرنسا .

وكانت منصة الخطابة في آخر الساحة وقد اتخذت التدابير اللازمة لمنع اي كان من الوصول اليها او الى الصفوف الامامية التي كانت مقاعدها مخصصة لكبار الضباط الفرنسيين والرجال الرسميين . والى جانب منصة الخطابة المقاعد المعدة لخطباء الحفلة . ابتدأت الحفلة وتوالى على المنبر بعض الخطباء والخوري حنا طنوس لم يحضر بعد . واذا به يأتي متأخراً كعادته مبرولا متعثراً بجبته ويجتاز الصفوف قاصداً مقعده بين الخطباء . فما كان من المكلفين بالنظام الا ان اعترضوه وقال له احدهم : « الى اين يا محترم؟ عد الى الوراء » . اجابه : « اريد ان اجلس في مقعدي » .

— لا مكان لك في الامام .

— بلى . أرى مقعداً شاغراً .

واذا بمخاطبه يقول له بهزء وسخرية وبلهجة هي الى الغضب اقرب منها الى اللطف : « قلت لك عد الى الوراء . المكان الشاغر ليس لك ولا لامثالك . انه للخوري حنا طنوس » . وتنبه احد الحضور الى الحوار بين الاثنين فهب من مقعده موفراً على الخوري حنا عناء التعريف عن نفسه قائلاً : « اهلاً بالخوري حنا اهلاً » .

ففهم عندئذ المكلف بالنظام والتشريفات ان الكاهن الرث الثياب الزري الشكل انما هو الخوري حنا طنوس عينه الذي يحتفظ له بمقعده بين الخطباء فافسح له المجال وقاده الى مقعده معتذراً له عما بدر منه لعدم معرفته اياه .

اما القصيدة فنقتطف منها الابيات التالية :

حيّوا الجنود وحيّوا صاحب العلم ... حيّوا الاسود سباع الحرب لا الاجم
حيّوا فرنسا بصوت هاتف طرباً ... تحيا فرنسا ليحيا سائر الامم
لنا محيّاك فوق الكل يا علماً ... قد بت اشهر من نار على علم
يا راية الحب في الآفاق ما خفقت ... الا لما خفق القلب البطي الخمم
مثلث اللون تسبي الخلق طلعته ... رمز المحبة والاحسان والكرم
فان حمرته باتت تحدثنا ... اني فديت الملا طرا بسفك دمي
قلب البرايا فرنسا فاثراً دمها ... وهل حياة بلا قلب لذي نسم
لولا فرنسا لبات الجور منتشراً ... تسطو الذئاب على الحملان والغنم
وان زرقته تسمو باعيننا ... نحو السما مصدر الانوار والنعم
ففي فرنسا اضاء العلم فانتشرت ... انواره في بلاد العرب والعجم
نور الحضارة منها كان منبعثاً ... نور انار الورى في حالك الظلم
رجالها سابقوا الانام قاطبة ... بكل فن فحازوا السبق من قدم
واليوم فوش غدا في الحرب ليث شرى ... فوق الفوارس والابطال كلهم
في الرين في المدن في الالزاس سطوتهم ... في البحر في الجو في الادغال في القمم
رأيت في زرقة الالوان عزتهم ... اما البياض فرمز عن طباعهم
طبع الفرنسيس ما اسماك في نظري ... طبع الفرنسيس كنه اللطف والكرم
الحزم والعزم والاقدام شيمتهم ... والعدل والنبل والايناس في عظم
انصر الهي فرنسا وانصر الحلفا ... ووطد السلم عربوناً لنصرهم

فلولا هذه القصيدة التي تذرع بها غبطة البطريرك الماروني فشفعت بالخوري حنا لدى الفرنسيين، لكانوا اصروا على ابعاده عن لبنان كما ابعدوه عن بانياس عقب قصيدته عام ١٩٣٣ في العنصر العربي والاثر الذي تركته في نفوس اهالي اللاذقية عامة وبانياس خاصة .

طباعه واخلاقه من خلال نوادره

كان الخوري حنا طنوس رضي الطباع حلو المعشر يرتاح اليه جليسه . وقلما نلتقي شخصاً من الذين عرفوه وعاشروه الا يتذكر عنه من النوادر ما يتصف بخفة الروح ويحلو في شخصيته ما هو دون متناول الدرس والتحليل .

وفي ما يلي بعض ما يروى عنه ويحكى :

انا ، كل عمري ، الاول يا سيدنا

قام المثلث الرحمات البطريرك عريضه ، عندما كان مطراناً ، بزيارة رعائية الى بانياس فجرت له استقبالات رائعة وحفلات عامرة . وفي عداد تلك الحفلات مأدبة اقامها في بيته احد اعيان الموارنة[1] في بانياس على شرف سيادته . واثناء تناول الطعام كان من الطبيعي ان يطلق الخطباء والشعراء لالسنتهم وقرائحهم العنان ، مثنين على جهود سيادته وتضحياته ولا سيما خلال سني الحرب الكونية الاولى حيث انه رهن صليبه ليخفف من مصائب من عضهم الدهر بنابه وجارت عليهم احوالهم . وفيما كان الخطباء والشعراء مسترسلين في مديحهم ، دنا احد الحضور[2] من الخوري حنا طنوس واراد ان يستفز سرعة خاطره قاسر في اذنه ما يلي : « كفانا مديحاً . الا يوجد للمطران عريضة سيئة واحدة ... ان كنت جريئاً تكلم ... » فاذا بالخوري حنا ، بعد ان انهى الخطباء مدائحهم ، يقف ويقول : « لقد اكثر الخطباء من مديح سيادة المطران عريضة وكاني بهم خجلوا او جبنوا فلم يذكروا ما عنده من سيئات . اما انا فاعرف له سيئة لا تضاهيها سيئة . »

هنا جمد الحضور واشرأبت الاعناق وارهفت الاسماع . واذا الخوري حنا يستأنف كلمته قائلاً : « اما سيئته هذه فتصرفه بما ليس له . انه يجازف بصحته في سبيلنا ، وصحته هي ملكنا لا ملكه » . فعلا التصفيق وكان لكلمة الخوري حنا ، التي مدح بها تحت ستار القدح ، الصدى المستحب .

واستفاد احد الحضور من[3] هذا الجو المرح وسأل سيادة المطران : من اكبر سناً سيادتك ام الخوري حنا ؟

اجاب المطران : « انا والخوري حنا بعمر واحد وكنا في المدرسة معاً نتنافس على الاولية فكنت انا الاول خلال اسبوع والخوري حنا الاول في الاسبوع التالي » هنا وقف الخوري حنا واجاب بحدة وانفعال « كلا يا سيدنا انا كل عمري الاول » .

---

١) خليل ذيب
٢) الحاني شكري ذيب
٣) شامر ذيب

شبردم شبردم

الخوري حنا لكثرة ما الف من المسرحيات مجد فيها البطولة والرجولة وتغلغل في نفسانية اشخاصها وبث فيهم روح الفروسية والعنفوان والجرأة والاقدام أصبح في ما بعد يعيش فيهم ويتصرف تصرفاتهم حتى وقع له عام ١٩٢٥ حادث مشؤوم افقده عينه اليمنى .

كان . عندما يضطر الى الانتقال من قريته الى « ميفوق » حيث كان يدرس ، او الى سواها من القرى ، يمتطي فرساً لقلة السيارات عهد ذاك . وعندما يصل الى منبسط من الارض كان ينحني فوق رأس الفرس فيشد بعذرتها صائحاً « شبردم شبردم » فاذا الفرس تسرع وتعدو به حتى توهم من كان يرافقه ان الفرس انما اسرعت لدى سماعها كلمة « شبردم » وان الخوري حنا طنوس مثل سليمان الحكيم يخاطب الحيوانات بلغة خاصة .

وصدف انه كان عام ١٩٢٥ مع ابن اخيه الاب يوسف فارس في قرية زكرون (قضاء الكوره) التي لم تكن قد وصلتها بعد بشكا طرق السيارات. ولما احب النزول الى شكا اعد من كان في ضيافتهم لـه وللخوري يوسف فارس ولمن سيرافقانهما فرساً وبغلاً وحمارين . ولما كان الخوري حنا سنتذاك في الستين من عمره خشي اصحابه ان يمتطي الفرس وهي اصيلة ما كانت تسمح لغير صاحبها ان يمتطيها ، فاعدوا له البغل . لكن الخوري حنا اصر على ركوب الفرس ولما حذروه منها ولفتوا انتباهه الى الخطر الذي يعرض له نفسه بامتطائه تلك الفرس ، راح الخوري حنا يتبهور ويتمرجل كانه شاب في ريعان العمر او احد ابطال مسرحياته متغنياً : انا عنتر بن شداد : انا الفارس المغوار الذي لا يشق له غبار : انا في الميدان لا يجاريني افرس الفرسان انا انا ...

واخيراً اذعن لرغبته اصحاب الفرس واركبوه اياها بعد اسداء النصيحة له بوجوب الحذر والانتباه والسير بتؤدة كي لا يحدث له مكروه .

ولكنها الخوري حنا ما كان يبعد قليلاً عن قرية « زكرون » ويصل الى مشارف « شكا » حتى شاء ان يمثل دور الفروسية والبطولة ، فانحنى فوق رأس الفرس وصاح : « شبردم شبردم » شاداً بعذرتها كما اعتاد ان يفعل . ولكن هذه الفرس الاصيلة التي ما كانت تلقى من اصحابها الا كل عناية ورعاية وحسن معاملة وترفيه ، ضايقها الشد بشعرها فجمحت بالخوري حنا وراحت

تهب الارض نهباً . ولم تتوقف الا بعد ان وقع عن صهوتها فاقد الرشد من شدة الصدمة .

واسرع اليه من كان برفقته . ورفعوه عن الارض . فاذا عينه اليسرى يسيل منها الدم . واجريت له الاسعافات اللازمة واخذ الى الاطباء للمعالجة فضمدت جراح وجهه . وعولجت الرضوض في جسمه . لكنما عينه لم يتمكن الاطباء من اعادة النور اليها . فظل اعور السنوات العشرين التي عاشها بعد ذلك الحادث المشؤوم .

قد يدخل الوثني السماء قبلي

كانت عظاته في الكنائس انسانية شاملة يتناول فيها القضايا الاجتماعية - القضايا البشرية التي تهم جميع الناس على مختلف اديانهم ومذاهبهم وطوائفهم ومعتقداتهم . وهذا هو سر اقبال غير المسيحيين على سماع عظاته سواء كان في كنائس بيروت او في بانياس او في طرابلس . فالخوري حنا الذي كان يفهم الدين بجوهره لا بقشوره وينظر اليه من خلال الاعمال والنيات كان السباق في الدعوة الى الالفة والمحبة والتسامح .

وقد روى احد عارفيه[١] ان الخوري حنا كان يعظ دائماً ايام الاحاد في الكنيسة خلال السنين التي قضاها في بانياس . وليلة احد الاحاد طلب منه ان يصطحب معه الى الكنيسة اكثر عدد ممكن من رفاقه الشبان على مختلف طوائفهم . ومذاهبهم ليسمعوا عظته فلبى راوي القصة رغبة الخوري حنا وحضر في اليوم التالي القداس ومعه عــدد من الشبان . وبعد قراءة الانجيل التى الخوري حنا عظة ورد فيها ما يلي :

« ايها الابناء الاحرار . سألني امس بعض بسطاء العقول : « هل يدخل السماء غير المسيحيين » ؟ (انتفض الخوري حنا معلقاً على هذا السؤال) هذا هو الكفر بعينه فالسماء ليست وقفاً للمسيحيين دون غيرهم . وانــا اصارحكم ، وانا بين يدي الله ، بانه قد يدخل الوثني الذي يعبد الاوثان والنار الى السماء . قبلي انا وقبلكم ، اذا كان يقوم عن ايمان وحسن نية باعمال انسانية مفيدة لبني البشر الخ ...)

---

١) المحامي شكري ديب (بانياس – سوريا) .

فكان لكلمته هذه احسن الوقع واطيب الاثر في نفوس الحاضرين . حتى ان غير المسيحيين كانوا في الآحاد التالية يقبلون بعدد وافر الى الكنيسة لسماع عظاته .

انصدق المنجي

كان ولوعاً بالتدخين حتى ان اللفافة ما كانت تفارق شفتيه . وحدث له مرة انه بعد قضاء اجازته في لبنان عاد الى بانياس ومعه حقيبة مليئة بالتبغ المهرب . وعند وصوله الى الحدود اوقفه رجال قوى الامن وموظفو شركة التبغ والتنباك وسألوه قائلين : « شو فيها هالشنطة يا بونا ؟ » اجاب بكل بساطة : « فيها دخان » فاستغربوا هذا التصريح لان عقاب من يضبط معه تبغ مهرب صارم جداً وقالوا : شو ؟ اجابهم : صدقوني معي دخان . عندئذ ابتسموا وقالوا : طيب اكمل طريقك ولكن لا تمزح معنا مرة ثانية .

لا اعيد الى جيبي ما خرج منه

كان زاهداً في الدنيا وخيراتها . لا يقدر للمال قيمة . ولا يدخر لغده ما يصل منه الى يده . لذلك كان دائماً خالي الوفاض : فارغ المحفظة . يصرف ما تيسر له من المال بسرعة ولذة .

وقد حدث مرة انه كان في حي الاشرفية ببيروت عند احد انسبائه . واراد الانتقال الى ساحة الشهداء لتقله من هناك سيارة الى قريته . ولما كان الجو ماطراً يومذاك احب نسيبه ان يؤمن له سيارة توصله تواً الى موقف سيارات قريته ، فيجنبه بذلك مشقة التنقل من مكان الى مكان تحت الامطار .

وكان لدى الخوري حنا ، ساعتذاك ، مابة وخمسون ليرة لبنانية قبضها من المطبعة الكاثوليكية ولم يتيسر له بعد صرفها او اضاعتها . فخشية ان يفقدها اثناء تنقلاته ، وخلال دفعه اجر السيارة ، حرص نسيبه على ان يستخرج من المبلغ الذي لدى الخوري حنا ، ليرة ونصف الليرة وضعها في جيبه اليمنى كاجر السيارة التي ستقله الى ساحة الشهداء . ووضع الباقي في جيبه اليسرى فاصلاً بذلك بين ما يجب ان يدفعه للسيارة وما يجب ان يبقى معه ، تلافياً لكل خطأ او سهو يتعرض له الخوري حنا .

واوقف نسيبه سيارة طلب من سائقها ايصال الخوري حنا الى موقف

سيارة قريته في ساحة الشهداء لقاء ليرة ونصف. ولما وصل الخوري حنا الى حيث يقصد احب ان ينقد سائق السيارة الاجر المتفق عليه لكنما تعذر عليه ان يمد الى جيبه اليمنى يده التي كان حاملاً بها حقيبته؛ فمد يده اليسرى الى جيبه اليسرى واخرج منها قطعة نقدية كانت من فئة العشر ليرات واعطاها السائق شاكراً. ولما احب السائق ان يرد له الرصيد اجابه: ابقها معك. هي نصيبك انا لا اعيد الى جيبي ما خرج منه.

الله اشفق واكرم

في صيف عام ١٩٤٥ مرت امرأة فقيرة على بيت الخوري حنا تستعطي وكان آنذاك وحده على مدخل البيت فراح يفتش في محفظته ويقلب جيوبه فعثر على ليرة لبنانية هي كل ما كان لديه؛ فاعطاها الفقيرة. وفيما كان يتفقدها اياها قدمت امرأة من انسبائه ولامته على اسرافه؛ نظراً للعسر الذي كان فيه وقالت: كيف تعطي الفقيرة ليرة لبنانية وانت احوج منها اليها. اما كان بامكانك ان تحسن اليها برغيف من الخبز او قليل من الزيت والبرغل. اجابها: شفقت عليها. فقالت له: اما تشفق على نفسك؟

عندئذ تأثر الخوري حنا من كلام نسيبته وصاح مؤنباً: اصمتي يا امرأة. من لا يشفق على الفقراء لا يشفق الله عليه. الا تعرفين انه سبحانه وتعالى اشفق واكرم.

وفي صباح اليوم التالي شوهد الخوري حنا مهرولاً الى بيت نسيبته مهللاً صائحاً: اما قلت لك ان الله اشفق وارحم. هذه حواله مصرفية يبلغ اثنين وعشرين دولاراً وردتني الساعة من اميركا كحسنة قداديس.

تواضعه

وعلى قوة ذكائه وسعة اطلاعه، وشامل ثقافته وعمقها؛ كان متواضعاً، وديعاً؛ لا يشعر جليسه الذي لا يعرفه بان الذي امامه على شيء من العلم والثقافة؛ لان منظره وشكله الخارجي واهماله ثيابه ما كانت تدل؛ قبل ان يتكلم؛ على انه يعرف حتى الكتابة والقراءة.

وحدث له مرة انه كان في نادي الشبيبة الكاثوليكية جالساً على كرسي ينتظر ابن اخيه الاب يوسف فارس الذي كان وقتذاك مديراً للنادي

المذكور . وشاء ان يتسلى ريثما يأتي الاب فارس فتناول الصحيفة الفرنسية « لوجور » وشرع يقرأ فيها وقد ادناها كثيراً الى عينيه لانه كان في شيخوخته شحيح البصر . ومر بقربه شابان من تلاميذ جامعة القديس يوسف لا يعرفانه الاّ اديباً . ولما شاهداه يطالع في صحيفة فرنسية هزئا به واخذا يضحكان ويتندران عليه ، ويتحادثان باللغة الفرنسية عنه . وهو جالس قربهما . وشرعا يتبادلان النكت بشأنه ، بهزء وسخرية . وهو صامت لا يلتفت بهما كانه يجهل الفرنسية ولا يفهم ما يدور بينهما من حديث .

ثم احب الشابان ان يحتكا به ويداعباه فقال له احدهما بالعربية : ماذا تقرأ يا محترم ؟ اجابه : الخوري حنا : هذا الجرنال . وسأله الثاني : هل تحسن قراءة اللغة الفرنسية ؟ اجابه : قليلاً . فسأله الاول : وهل تفهم ما تقرأ ؟ فرد عليهما بالفرنسية متعمداً اساءة اللفظ كي يبقي الشابين على وهمهما فلا يخجلان اذا ادركا انه يتقن الفرنسية وانه فهم ما دار بينهما من حديث . اجاب : « ان بي » in pé اعني قليلاً . وفيما هم في الحديث اذا الاب فارس يقبل ويسرع الى الخوري حنا مؤهلاً مرحباً . ويلتفت بالشابين اللذين كانا من تلاميذه في صف البيان قائلاً : هل تعرفان هذا المحترم ؟ انه الخوري حنا طنوس بشحمه ولحمه ، الذي كثيراً ما حدثتكم عنه وحفظتم روائعه الشعرية ومثلتم مسرحياته الشهيرة .

وكم كان خجل الشابين كبيراً عندما ادركا ان هذا الكاهن الذي سخرا منه وهزئا به ظناً منهما انه يجهل الفرنسية ولا يفهم ما يدور بينهما من حديث بشأنه ، كان العلامة الكبير والشاعر الموهوب الذي يجيد الفرنسية احسن منهما . فاحمر وجهاهما خجلاً وتواريا مسرعين .

مقدرته على الترجمة

نعم هذا العلامة ، الذي تجاهل اللغة الفرنسية كي لا يجرح كرامة الشابين عندما يدركان انه فهم ما دار بينهما من حديث ، كان يجيد الفرنسية ، كاحسن ابنائها . وكانت له مقدرة فائقة الحد في ترجمتها وتعريب روائعها نثراً وشعراً وبامانة مدهشة .. .

وعن مقدرته في نقل روائع الادب الفرنسي الى اللغة العربية يتحدث عارفوه الاخبار المدهشة . وقد روى الاستاذ جوزف خياط بهذا الصدد النادرة التالية :

« كنت ادرس عام ١٩٢٧ الادب الفرنسي في معهد ميفوق . في قضاء جبيل . وفي احد الايام (الكلام للاستاذ خياط) اتيت بقصيدة لالفرد دي موسه انشدها باعجاب وحوس . فقال الاب الرئيس : ان الخوري حنا ينظم ارتجالاً ما هو افضل منها . وكان بيني وبين الاب الرئيس شرط ورهان . فالقصيدة الفرنسية « الران الالماني » le Rhin Allemand وهي رائعة جداً لا يمكن تعريبها بالسهولة التي يتوقعها الاب الرئيس . فاستدعى الخوري حنا وسأله نقلها الى العربية شعراً . فتهرب الخوري حنا كعادته متذرعاً بضيق الوقت وبعدم استعداده لذلك وتقذاك . ولما اصر عليه الاب الرئيس والحّ ، تنحنح الخوري حنا وقال : اسمعنا اياها يا استاذ . فانشدتها واذا الخوري حنا يترجمها شعراً ارتجالاً وفوراً وامام جمهور من الرهبان واساتذة المعهد : بينهم مدير المعهد الاب بطرس الخوري ، ووكيل عام الرهبانية البلدية الاب مرتينوس طربيه الذي اصبح فيما بعد رئيساً عاماً للرهبانية المذكورة ؛ والاب جرجس المعادي رئيس المعهد ؛ والاب مخايل خليفة رئيس الدير .

القصيدة يجيب بها الشاعر الفرنسي « الفرد دي موسه » على اغنية للشاعر الالماني بوكر Buker يقول فيها للفرنسيين : « لن تروا نهرنا الرين الالماني » .

وعندما استولى الفرنسيون على نهر « الرين » نظم « موسه » هذه القصيدة التي اثبتها في ما يلي :

Nous l'avons eu, votre Rhin allemand
il a tenu dans notre verre
Un couplet qu'on s'en va chantant
Efface-t-il la trace altière
Des pieds de nos chevaux marqués dans votre sang?

Nous l'avons eu votre Rhin allemand
Son sein porte une plaie ouverte
Du jour où Condé triomphant
A déchiré sa robe verte
Où le père a passé, passera bien l'enfant.

Nous l'avons eu, votre Rhin allemand
Que faisaient vos vertus germaines
Quand notre César tout puissant
de son ombre couvrait vos plaines?
Où donc est-il tombé, ce dernier ossement?

Nous l'avons eu, votre Rhin allemand
Si vous oubliez votre histoire
Vos jeunes filles, sûrement
Ont mieux gardé notre mémoire
Elles nous ont versé votre petit vin blanc.

S'il est à vous, votre Rhin allemand
Lavez-y votre livrée
Mais parlez-en moins fièrement
Combien, au jour de la curée
Étiez-vous de corbeaux contre l'aigle expirant ?

Qu'il coule en paix, votre Rhin allemand
Que vos Cathédrales gothiques
s'y reflètent modestement
Mais craignez que vos airs bachiques
ne réveillent les morts de leur repos sanglant.

وكنت (يقول الاستاذ خياط) كلما انتهيت من انشاد مقطع ، يقوم الخوري حنا فوراً بارتجال تعريبه شعراً . حتى عرب كامل القصيدة بسرعة لا يصدقها غير من كان حاضراً ذلك الاجتماع .

اما القصيدة كما عربها الخوري حنا فاثبتها في ما يلي تأكيداً لدقة الترجمة واجادة التعبير :

نلناه حقاً ذلك النهرا .   وغدا بمحجمنا لكم نذرا
انشيد شعر منشد هوساً   يمحو سنابك خيلنا الحمرا
وعلى السنابك من دمائكم   اثر يزرّ علاءنا فخرا
احرى بكم ان تسكتوا احرى
نلناه حقاً ذلك النهرا   اذ حاز كوندي القائد النصرا
اذا شق برداً اخضراً علناً   في الصدر جرحاً دامياً اجرى
هلا يمر الابن منتصراً   وابوه حقاً قبله مرا ؟
... احرى بكم ان تسكتوا احرى
نلناه حقاً ذلك النهرا   في عهد قيصرنا القوي قدرا
جرمان ما صنعت بسالتكم   اذ رام قيصرنا لكم قهرا
غطى السهول بظل هيبته   اشلاؤكم انتم بها ادرى
اين ارتمت اشلاء اخركم ؟   احرى بكم ان تسكتوا احرى

نلناه حقاً ذلك انبرا والامر فينا لم يعد سرا
فاذا نسيتم ذكر والدكم فبناتكم قد تحفظ الذكرا
صبت لنا من خمركم فغدا من ابيض في الكأس معفرا
ان كان نهركم غدا لكم والنسر منسي ينبش الصخرا
فليجر نهركم على مهل ولتنعكس ابراجه الكبرى
بمياهه من دون غطرسة وحذار الخانا حوت سكرى
فلقد تنبه من مراقدهم موتى استراحوا . فاحذروا الشرا
احرى بكم ان تسكتوا احرى

تعريبه ارتجالا قصيدة « لافونتين » « الحيوانات المصابة بالطاعون »

روى احد تلاميذه في بانياس الاستاذ انور امام قال :

سنة ١٩٣١/١٩٣٢ كان الخوري حنا يدرسنا الادب العباسي وكنا نعالج المواضيع التي يقترحها علينا ليعود فيصلحها . وعندما يجد ان طالباً اجاد في موضوعه كان يهش وتنبسط اسارير وجهه وتومض الفرحة في عينيه. وفي احدى المرات اقترح علينا تعريب قصيدة الشاعر الفرنسي « لافونتين » التي عنوانها « الحيوانات المصابة بالطاعون » . فترجمتها انا شعراً لاني كنت قد بدأت اعالج الشعر بيني وبين نفسي ، متأثراً بالجو الذي يحيط بي. فانا بين رئيسين روحيين والدي واستاذي ; وكلاهما شاعر واديب . ولما جئته بالترجمة التفت الى رفاقي الطلاب وقال : هذا انور قد ترجم القصيدة شعراً. وساحاول انا ترجمتها شعراً وانتم الحكم فكونوا حكماً غير متحيز لزميل (يقصد رفيقهم انور امام) او متعصب لرفيق (يقصد نفسه لانه كان دائماً يعتبر نفسه رفيقاً لطلابه) . ومضى يترجم القصيدة فبدأ بالمطلع وهو لي :

داء يثير الرعب في الاحشاء داء براه تغيظ العلياء
حتى تقاصص حوبة الغبراء

فاعترضت قائلاً : هذا المطلع انما هو لي يا ابانا . فاجاب : « لا بأس. انه جيد واستعيره منك » ومضى يعرب باقي القصيدة شعراً وارتجالا وكأنه يقرأ في كتاب ، حتى اتمها .

القصيدة التي ماتت في صدره

واذا كان الحديث يجر الحديث فاني اعتبرني اخللت بواجبي اذا لم اقص نادرة ثانية رغبة في اعطاء فكرة واضحة وافية عن غنى شخصية الخوري حنا الادبية .

بعد ان وقع عن سلم المطبعة الكاثوليكية عام ١٩٤٦ وهو عائد منها بعد تسليمه اياها قسماً من تعريب رواية « دون كيشوت » ادخل مستشفى « اوتيل ديو » في بيروت ولم يخرج منه الا جثة هامدة . بعد اربعة ايام من الحادث . عدته في المستشفى مساء يوم الجمعة في ٢٢ اذار اي عشية اليوم السابق ليوم وفاته فقال لي : وهو يتقلب على فراش الآلام : هل يمكنك ان تأتيني بقصيدة « تناغم المساء » Harmonie du soir فقلت له : لماذا ؟ اجاب : احب ان اعرب هذه القصيدة شعراً فتكون خاتمة ما انتجت. اني اشعر في مساء حياتي بدنو اجلي ؛ واشعر بطمأنينة ونشوة حبيبة تغمرني ؛ وتذكرني بقصيدة « بودلير ». فتش عنها وستجدها في مجموعة « زهور الشر ». les Fleurs du Mal . انا لا ازال اذكر منها المقطعين الاولين ؛ انما احب ان اعيد قراءتها لاستوعبها كلها قبل مباشرة التعريب . وانشدني الخوري حنا المقطعين الاولين وهو في الثمانين من العمر . اما القصيدة التي هي من اروع شعر الادب الفرنسي فاثبتها في ما يلي :

Voici venir les temps où vibrant sur sa tige
Chaque fleur s'évapore ainsi qu'un encensoir
Les sons et les parfums tournent dans l'air du soir
Valse mélancolique et langoureux vertige.

Chaque fleur s'évapore ainsi qu'un encensoir
Le violon frémit comme un cœur qu'on afflige
valse mélancolique et langoureux vertige
Le ciel est triste et beau comme un grand reposoir.

Le violon frémit comme un cœur qu'on afflige
Un cœur tendre, qui hait le néant vaste et noir!
Le ciel est triste et beau comme un grand reposoir;
Le ciel s'est noyé dans son sang qui se fige.

Un cœur tendre, qui hait le néant vaste et noir,
du passé lumineux recueille tout vestige
Le soleil s'est noyé dans son sang qui se fige...
Ton souvenir en moi luit comme un ostensoir.

ان يتذكر الخوري حنا طنوس وهو في الثمانين من عمره الشاعر الفرنسي « بودلير » لدليل على اصالة في الادب . وان يتذكر ان هذا الشاعر قصيدة « تناغم المساء » لبرهان قاطع على شموخ اطلاعه .

وان يتذكر ان هذه القصيدة هي في مجموعة « زهور الشر » : وان ينشد منها مقطعين : وان يرغب في تعريبها : كل ذلك دليل على قوة حافظته : وعلى اية عافية ادبية كانت تزخر بها شخصيته الفذة .

ودعته على ان اعود اليه في اليوم التالي . ولكن ما كاد يطل صباح ذلك النهار حتى بلغنا انه فارق الحياة ، وانتقل الى العالم الثاني .

نعم ، مات الخوري حنا وفي قلبه الكبير امنية : وفي دماغه الذي لم يهرم ولم يشخ : رائعة شعرية دفنت معه .

٥

النابغة البائس

« لم استفد من كل تآليفي الا التصفيق » . هذا ما قاله لي الخوري حنا طنوس بغصة ومرارة . لكنما التصفيق لا يطعم خبزاً : ولا يشبع جائعاً ، ولا يروي ظمآن : ولا يكسو عرياناً . وظل الخوري يوحنا يجد ويكد طوال حياته . وحتى في الثمانين من عمره كان مكباً على رواية « دون كيشوت » ينقلها الى العربية كسباً لكفافه . اما تآليفه ، اما مسرحياته فكثيراً ما كان يغير عليها طفيليو الادب فيقتبسون منها الفصول الكاملة ويمثلونها دون معرفته او استئذانه ، او ينتحلون منها ، ما يروق لهم منها وينسبونها لانفسهم دون ان يردعهم رادع او يعصمهم عن ذلك عاصم : كما حدث لمسرحيته « البطل المجهول » و « امير الارز » .

انتحال مسرحية « البطل المجهول »

فعام ١٩٤٧ اقدم شخصان على تقديم مشهد بواسطة الاذاعة اللبنانية ، اقتطف من تمثيلية « البطل المجهول » دون ذكر مؤلفها الخوري حنا طنوس ، كانما آثار علامتنا مال سائب ، او كرم على درب ، يسطو عليه من يشاء . وهذا التصرف الشاذ حملنا على توجيه كلمة بهذا الصدد على صفحات جريدة « البيرق » نثبتها في ما يلي :

«قدمت الاذاعة اللبنانية، الساعة الثامنة والنصف من مساء الجمعة»
«الثالث مشهداً تمثيلياً «الوطن اولا» دون ان تذكر اسم مؤلفه. فلمن هو»
«يا ترى؟ أأوجد هذا المشهد التمثيلي على قارعة الطريق؟ ام ان مؤلفه مجهول»
«تستحي الاذاعة من ذكر اسمه؟ وهل ان السيدين اللذين دفعتهما غيرتهما»
«الى تمثيله اشهر منه ليعرف عنهما؟»

«اسئلة لم نكن نوجهها الى الاذاعة اللبنانية لولا ما في عملها من شذوذ»
«وطعن في الحقوق والكرامة.

«ليس مؤلف الرواية مجهولا او نكرة. ونحن على ادراكنا العادي نعرف»
«ان الرواية تنسب الى مؤلفها اولاً ثم الى ممثلها.

«ومؤلف الرواية الذي استحت الاذاعة من ذكر اسمه، هو العلامة»
«الخوري حنا طنوس. ولئن مات السنة الماضية. فانما هو خالد في آثاره»
«ومنتجات خياله، ومولدات عقله. وانه حي في كل قلب وليختلج في حنايا»
«كل من عرفوه.

«وان جهلت الاذاعة اللبنانية من هو او تجاهلته. وان عميت عن الحقيقة»
«او تعامت عنها، فهذا لا ينفي ان الخوري حنا طنوس هو عميد الفن المسرحي»
«في لبنان. ومؤلف زهاء اربعين مسرحية. هو صاحب «العمران»؛ والبطل»
«المجهول، والاعمى البصير؛ والبطل الاخرس؛ وشهداء نجران؛ والنعمان»
«الخامس. وداحس وغبراء؛ ويوسف بك كرم؛ وامير الارز؛ والعقل»
«اللبناني والدهاء العثماني الخ...

«هو المؤرخ والشاعر واللاهوتي والمعلم الذي وقف اصغريه اربعين سنة»
«على خدمة امته، وتثقيف رجالها وبينهم العديد من عظماء اليوم وابرز»
«رجالات الوطن.

«ليس الخوري يوحنا طنوس مجهولاً فاذكروه، وليس نكرة، فلا تستحوا»
«من نسبة روائعه اليه.

«وقليلاً من الذوق يا سادة...»

اميل ابي نادر

سرقة مسرحية «امير الارز»

اما مسرحية «امير الارز» فقصتها طويلة وسرقتها فضيحة ادبية اذ اقدم احد ادعياء التأليف المسرحي، نحجم عن ذكر اسمه، ضناً ببقية من كرامة

نريد رغماً عنه ان نحتفظ له بها : على انتحال هذه المسرحية . فتحللها . وابدل اسمها « برؤيا الناسك » ، تمويهاً وتضليلاً . وتصرف بها على هواه . ومثلها على حلقات في الاذاعة اللبنانية . ثم على مسارح كازينو لبنان ومعهد الفرير وجامعة القديس يوسف . ثم طبعها باسمه محتفظاً لنفسه بجميع الحقوق .

فكان لهذا العمل اسوأ صدى في نفوس عارفي الخوري حنا طنوس وقادري فضله : انعكس في ما كتبوه ونشروه بهذا الصدد في مختلف الصحف اللبنانية : كالتلغراف ، والصفاء ، والنهار .

وفي ما يلي نثبت ما ورد في العدد ٦٥٩٦ من صحيفة التلغراف الصادرة بتاريخ ١٩٦٥/٤/٥ تحت عنوان « حول مسرحيتي امير الارز ورؤيا الناسك » .

« الخوري حنا طنوس

« هذا العلامة الذي قضى حياته واعظاً ومعلماً ومرشداً ومؤلفاً . هذا الذي « اغنى المسرح العربي بما انتج من التمثيليات التي اربى عددها على الثلاثين « حتى اعتبره قادرو فضله رائد الادب المسرحي في الشرق العربي . »

« يكاد يعنكب النسيان حول اسمه : لولا قلة من ذاكري فضله وقادري « نبوغه يرددون قصائده او يفسحون المجال لان يحكى او يكتب عنه . »

« وفي عداد هؤلاء الغيارى على الخوري حنا طنوس الدكتور[1] ... ، « الذي ابت عليه مروءته ونخوته الا ان يبذل كل ما في طاقته لتكريم هذا « العلامة المنسي حياً وميتاً » .

« ولكن كيف يكرم الخوري حنا طنوس وقد اصبح في ظلمات القبور ، « رميماً ؟ وكيف يخلد ذكره ولم يترك على هذه الفانية عقباً من لحم ودم ، « يذكر الناس به . انه لم يترك سوى قصائد مبعثرات ومسرحيات في كل « واد هائمات » .

« واجهد الدكتور ... فكره وعصر دماغه . وبعد اسابيع من « المخاض » « الفكري وجد الحل الافضل واذا هو يصيح : لقد طفح البشر على وجهه : « اوركا اوركا » .

« وذلك انه تذكر ان للخوري حنا طنوس مسرحيات كثيرة لم يطبع منها « الا القليل . وانه ترك تحت طاولة مائدته الادبية من فتات الخبز ، ونفايا »

---

١) محل النقط اسم منتحل رواية « امير الارز » ومدعي تأليف رواية « رؤيا الناسك » .

«المآكل، ما يشبع الف جائع الى الزاد الادبي والف طامع بالشهرة. نعم»
«مثلت مسرحياته مراراً ايام كان الناس «ساذجين» بادب يتذوقون الادب».

«اما اليوم: وقد مات اولئك الكرام، الذين صفقوا لابطال الخوري»
«حنا طنوس يحييها في مسرحياته من دفائن التاريخ، فلا شك في ان الجيل»
«الجديد (ظن الدكتور) لا يعرف عن الخوري حنا شيئاً. وعلى كل حال»
«ما دامت هذه التآليف المهملة، غذاء للعث يرعاها وزاداً للفأر يقرضها.»
«فلا غضاضة اذا بالعث تشبه وبالفأر اقتدى».

«وراح الدكتور... يفتش عن المسرحية المحظية، عن النقمة السائغة.»
«عن التمثيلية التي يشرفها بتبنيه لها. واذا به يجد احدى الليالي في «امير»
«الارز» ضالته المنشودة. انها مسرحية تفي بالمرام، تمجد البطولة والاخلاص»
«والاقدام. فنام الدكتور... ليلته تلك، قرير العين مرتاح البال».

«ولكن المسرحية هذه عجوز حيزبون، ولدتها المطبعة عام ١٩٢٨.»
«لذلك رأى الدكتور... من الواجب ان يعيد اليها شبابها فيحقنها بمصل»
«برنمولز» ويختار لها اسماً جديداً، ويلبسها فستاناً قشياً، ملوناً، ضيقاً.»
«قصيراً، لا يجاوز طوله الركبتين».

«وبعد ان وضع التصاميم، واعد العدة اللازمة لتوليد الطفلة، تناول»
«كدسة من الورق الابيض، وراح ينسخ رواية «امير الارز»، لمؤلفها»
«الخوري حنا طنوس، بدقة واجتهاد والعرق يتصبب من جبينه».

«الولادة، والحمد لله، لم تكن عسيرة. فاذا بطفلة مسرحية «امير الارز»»
«تطل على الحياة هاشة باشة باسم «رؤيا الناسك» وهي طبق الاصل عن»
«والدتها موضوعاً وتصميماً، ومعنى، ولفظاً. ولكنها، بفضل مهارة الطبيب»
«المولد رواية عصرية «مودرن». فكما يغير ابناء القرى الذين يهبطون الى المدينة»
«اسماءهم السابقة باسماء جديدة «سباتيك» فيحل اسم جان محل اسم حنا.»
«واسم ماري محل اسم مريم، واسم ميشال محل اسم نخله، هكذا فعل»
«الدكتور... فسمى مسرحية «امير الارز» الابنة «رؤيا الناسك» وحل»
واسم الاميرة «عليا» محل «راحيل»، واذا المقدم عبد المنعم يصبح، بقرار»
«اداري صادر عن الدكتور... مقدماً على طرابلس بدلاً من جبيل، واستعاض»
«ببعض الابيات من القرادي عن قصائد الشعر الفصيح: وطلى وجه المحروسة»
«برسوم للفنان «كورولف».

«وهكذا برزت «رؤيا الناسك» المولودة الجديدة منسوخة عن «امير الارز»

«للخوري حنا طنوس مع فارق بسيط كبير، اذ حل اسم الدكتور ... محل»
«اسم الخوري حنا طنوس. وطبعت ١٩٦٢ في المطبعة المخلصية في صيدا بينما»
«الزاوية الام» امير الارز» هي مطبوعة عام ١٩٢٨ في مطبعة دير سيدة»
«المعونات في جبيل.

«وكأنما الدكتور ... وهو الحريص على حقوقه حرصه على حقوق سواه،»
«خشي ان يتشبه به امثاله ولصوص الادب، فيسطون (بعد عمر طويل) على»
«مسرحيته. فاتى على سبيل الاحتراز، واحتياطاً للامر، الا ان يطبع على»
«مسرحيته : «ان جميع الحقوق محفوظة للمؤلف».

«الموضوع على شقين: شق يتعلق بالناحية الحقوقية ويعني اصحاب الحقوق»
«في رواية «امير الارز» وشق يتعلق بالناحية الادبية والفكرية وهو يعنينا»
«ويعني جميع الادباء وكل من عرف الخوري حنا طنوس وقدر ادبه ونبوغه.»

«وكنا نتساهل مع الدكتور ... لو كان على الاقل اميناً في النقل ولو»
«نسخ مسرحية «امير الارز» دون ان يمسخها. اما وقد مسخها وشوه جمالها»
«ورونقها وروعتها فنجيز لانفسنا ان نسأله: اين الفرق بين المسرحيتين؟»
«اين الجديد في «رؤيا الناسك» معنى ومبنى؟

«فهل للدكتور ... الجرأة لدحض ما عرضناه في هذه العجالة: ونفي»
«تهمتنا له بالنقل والنسخ والمسخ؟ ...

«انا لفي انتظار الجواب. وعلى ضوء جوابه يحكم القراء والادباء فيما»
«اذا كان صاحب «رؤيا الناسك» يتحلى بجرأتين او بجرأة واحدة. فان»
«احجم عن الرد يكون اقر بما تهمه به وان اجاب فلنا الى الموضوع عودة.»
(انتهى المقال).

طبعاً بقي هذا المقال دون رد او جواب: وبدلاً من ان يستحي صاحب «رؤيا الناسك» او يخجل اى الا ان يتحدى الخوري حنا طنوس في عقر داره فاقدم على تمثيلها للمرة الثالثة مساء السبت في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٦ ولقاء ٢٥ ليرة ثمن بطاقة الدخول، على مسرح القديس يوسف للآباء اليسوعيين بالذات، ذلك المسرح الذي مثلت عليه روايات الخوري حنا طنوس مراراً وتكراراً طوال جيلين كاملين.

وهكذا اثبت صاحب «رؤيا الناسك» انه لا يتحلى بجرأة واحدة بل بجرآت متعددة.

عاش الخوري حنا ومات كما يعيش ويموت كل اديب اصيل . فالذين يحصرون انسانيتهم في كيسهم او بطنهم ظانين ان الحياة اكل وشرب ونوم وتناسل : يعيشون بهناء ورخاء . اما الذين يعتبرون الانسان قلباً وعقلاً وروحاً . والحياة رسالة ؛ فهؤلاء شرقيين كانوا ام غربيين . اشقياء حيثما وجدوا . وتعساء تحت اية سماء خلقوا : ولاي شعب كتبوا .

فابو الطيب المتنبي : الذي كان يجيزه سيف الدولة مئات الدنانير لقاء قصائده : كان اول من نعى القلم يوم قال :

اف لعيش الكتبه اف له ما اصعبه
تبـاً لعيش يرتجى من شق تلك القصبه

والياس فياض اما عنى جميع الادباء في رثائه طانيوس عبده اذ قال :

لا تبكه فاليوم بدء حياته ان الاديب حياته بمماته

اما شوقي ، فلولا تعيينه في ديوان الخديوي : لكان مات جوعاً . وحافظ ابرهيم لولا توظيفه في دار الكتب الكبرى لكان قضى حياته في ضيق . وابرهيم اليازجي : وامام العبد امام المفلسين : وولي الدين يكن . وعبدالله البستاني ؛ واديب اسحاق : ونجيب حداد : واسكندر العازار : وطانيوس عبده ، والياس فياض : وامين الريحاني ، والياس ابو شبكه . وجبران خليل جبران « المثقلة نفسه بأثمارها وما من جائع يقطف ويأكل » . ووديع عقل الذي شكا حاله في هذه الابيات :

اعد لي سيف الدولة اليوم مالكاً تجدني في النادي ابا الطيب الثاني
وهات دنانير الرشيد وخذ من القوافي عقوداً من عقيق ومرجان
كليني لهمي يا ثريا فـانني ارى الشعر من بلواي في ارض لبنان
ولا تطلبي ديوان شعري فانـه بقية مـا يبقي لك الزمان الجاني
لعلك يوماً بعد موتي تريـنـه ينيلك من شاريـه قيمة اكفاني

وفي قصيدة اخرى يقول :

يرى لي الناس شعرا غالياً واذا عرضته لا ارى للشعر من شار
قـد طيب الله انفاسي لانفحهم بها . ومـا نفحوا كفي بدينار
انـا هو العود والعواد اطرب سماعي بايلام اضلاعي واوتاري

وجميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي : الذي مات وهو لا يملك سوى الثياب التي يلبس والفراش الذي ينام عليه . سلسلة من اصحاب الاقلام العربية التي لم تبعد عن اصحابها الآلام . ولم تقص عنهم شبح الفاقة والعوز .

اما اعضاء الرابطة القلمية في الولايات المتحدة الاميركية وهم رشيد ايوب ، ونذره حداد ، ووليم كاتسفليس ووديع باحوط ، والياس عطاالله ، ونسيب عريضه وميخايل نعيمه وايليا ابو ماضي وجبران خليل جبران وعبدالمسيح حداد ، فما درت عليهم اقلامهم كفافهم اليومي .

فرشيد ايوب اضطر الى الدعوة لاكتتاب يمكّنه من طبع ديوانه «اغاني الدرويش» اما نسيب عريضه فبقي اكثر من عشرين سنة ينتظر الفرصة التي تسمح له بطبع ديوانه « الارواح الحائرة » ولولا غيرة نفر من اصدقائه لبقي الديوان اوراقاً يرعاها العث ، وقد لفظ شاعرنا انفاسه والديوان ما يزال قيد الطبع .

ويروي ميخايل نعيمه في كتابه « سبعون » ان اعضاء الرابطة القلمية لم يكن بينهم واحد يملك من المال ما يفيض عن حاجته من يوم ليوم او من شهر لشهر ، وان بعضهم ما كان يملك اجرة الترامواي . وبرهاناً على ما كان بينهم وبين الدولار من جفاء ، يروي نعيمه ان جبران خليل جبران يوم اعلنت هدنة الحرب الكونية الاولى اجتمع برفاقه ، اعضاء الرابطة القلمية ، ليفرح معهم بانتهاء الحرب ويشربوا معاً كأساً من الويسكي . لكن الجيوب كانت فارغة فتفتق لجبران حيلة واخذ لوحة من « الكرتون » ورسم عليها فتاة تحمل علماً فضفاضاً خط عليه هذا البيت :

على انقاض ماضينا سنبني مجد آتينا

وعرض جبران الصورة بالمزاد لعلها تأتي بما يبرد غطشه وعطش رفاقه ، فاذا بين الحضور شاب حمصي يستلذ مجالسة اهل الادب ، يبتاع الصورة بقنينة من الويسكي . وكان تصفيق وكان فرح كبير .

ويروي كذلك ميخايل نعيمه عن رشيد ايوب انه كان مرافقاً ذات صباح صديقاً له يتعاطى التجارة . وبلغا باب المخزن فاذا على العتبة شيء ، ما ان رآه التاجر حتى ادار وجهه عنه ، وسد انفه ، واخذه غثيان شديد . فادرك رشيد ايوب ان ذلك الشيء لم يكن غير براز قطة . ولما كان يعرف

مقدار تقزز صديقه من تلك القذارة . استغرق في الضحك وقال : ماذا يكون لي منك اذا انا ارحتك من هذه القذارة ؟ فاجابه رفيقه . غداء شهي مع ويسكي . وازال رشيد القذارة . فكان غداء طيباً وشرب من الويسكي على قدر ما شاء قائلاً لصاحبه : هذا باب رزق لم يكن ليخطر لي في بال . سبحان مقسم الارزاق .

وبعد فهل الادب العربي وحده لا يطعم خبزاً .

كلا . فالادب الحقيقي لا يطعم خبزاً في بلد من بلدان الله ولا يقل ادباء الغرب تعاسة عن ادباء الشرق . واذا كان هناك طائفة من الكتاب امثال برناردشو . وكونان دويل . ومكسيم غوركي . وتولستوي : قد جنوا من نفثات اقلامهم الاموال الطائلة . فهناك سلسلة غير معدودة الحلقات من العباقرة العالميين الذين عاشوا فقراء ، وماتوا تعساء .

ان الشاعر المسرحي كورناي لو لم ينعم عليه لويس الرابع عشر ببعض المال من وقت الى اخر ، لكان مات جوعاً . ويروى عنه انه كان يملك حذاء واحداً رأى فيه ثقباً فذهب الى اسكاف وخلعه طالباً ترقيعه . ووقف في الطريق ينتظر ان ينتهي الاسكاف من اصلاحه . والناس ينظرون الى كورناي واقفاً على قدم . ورافعاً الاخرى في الهواء .

والروائي الشهير « هونوري دي بلزاك » رأته مرة ابنة جاره مرتدياً ثوباً ممزقاً . فراح يعتذر لها ويختلق الحجج فقالت له الفتاة : عندما اطالع يا سيدي كتاباً من كتبك اظن اني افحص غلافه او أقرأ محتوياته ؟

و « بول فرلين » كان غارقاً في الديون ، دائم الافلاس . دعي مرة الى مائدة فسر كثيراً ولكن ثوبه كان مرهوناً ، فطاف في جيرانه يستدين منهم ما يستنك به ثوبه . ويقال انه اكل بشراهة ، لانها احدى المرات القليلة التي يتناول فيها الطعام بلا حساب ، ويأكل ما يريد .

اما « لامارتين » فكان ينتقل من الغنى الى الفقر بسرعة عجيبة . ويروى انه جاءه مرة رجل يطلب منه مساعدة فقلب لامارتين جيوبه وفتش في مكتبه ، ولما لم يجد فلساً واحداً يعطيه الرجل ، بكى ...

و « الكسندر دوما » الاب ، كان فقيراً ، و « ريشار فاغنر » الموسيقي الالماني كان غارقاً في الديون حتى اذنيه .

والمصور الهولندي « فنسان فان هوخ » تروي مجلة « المختار » انه لم يمش وراء نعشه ، يوم مات ، الا سبعة رجال وقد بلغ الذين زاروا متحفه

في نيويورك . ليروا رسومه . مليوناً ونصف مليون شخص . ولم يتجاوز ما كسبه في عمله ، طوال حياته كفنان . مائة وتسعة وعشرين ريالاً . وبعد موته بيعت صورة واحدة بمئات الدولارات ويقدر مجموع ما بلغه ثمن صوره بعشرة ملايين دولار .

و « فرنسيس بيكن » الفيلسوف الانكليزي واضع اساس التجربة . ومثال التقشف . الذي قيل عنه انـه اعظم واحكم واعدل انسان بين البشر : سيق مرة الى السجن وفاء لدين عجز عن وفائه .

و « سبينوزا » الفيلسوف الهولندي الشهير . اضطر الى تعليم الاطفال . وصقل العدسات الزجاجية . كسباً لقوته . ويروى ان شخصية كبيرة زارته في احد الايام ولما رأته في ثوب قذر امتعضت منه ووهبته رداء جديداً . فاعتذر « سبينوزا » عن قبول الهدية قائلاً : ان الرجل لا يسمو به رداء جميل .

و « عمانوئيل كانت » الذي قيل عنه انه كاتب المانيا الاوحد . وان الرجل يظل طفلاً حتى يغنيه ، عاش حياة فقر وتعاسة .

و « هربرت سبنسر » اضطر الى الشغل كرسام للخطوط الحديدية . والى التحرير في جريدة « الايكونومست » كسباً لقوته اليومي .

اذا ساقني الموضوع لهذا الاستطراد والتحدث عن هؤلاء العباقرة البائسين ، فلكي ابرهن ان الخوري حنا طنوس الذي عاش فقيراً ، ومات لا يملك ثمن الكفن ، كان نصيبه من دنياه نصيب امثاله في النبوغ . والعبقرية . عاش ليتألم ويشقى . وبينما الناس تلهو في جمع المادة فوق المادة . وتكديس المال فوق المال ، كان ، كامثاله من الادباء الاصيلين : في غمرة من الفقر ، ونشوة من اللاوعي ، سكران يستقطر الحرمان عبقرية وروائع ، ويضفر من شقائه على رأسه اكاليل من الخلود لا تذبل .

هذا كان حظه من دنياه : حظ من يعيش في مسابح الروح والعقل والخيال في عالم المادة . انه كطير « الالباتروس »(١) في قصيدة الشاعر الفرنسي « بودلير » خلق ليحلق في الاجواء والاعالي لا ليحط على الارض لان جناحيه الكبيرين يمنعانه من الوقوف على اليابسة .

لم يطبع من آثاره سوى النعمان الخامس والبطريرك حجولا وامير الارز

(١) L'Albatros

وبطل الجبول . ونشرت مجلة المشرق مسرحيتي «شهداء نجران» و«العمران».

وكان قد باشر . قبل وفاته بشهر . يتصل بدور النشر وبوزارة التربية الوطنية يعرض عليها مشروعاً لطبع مسرحياته . ودهمه الموت قبل ان يتحقق مشروعه . وكأنما عدم تحقيق هذا المشروع قد خلق في قلبه غصة : فظل المرحوم الخوري حنا طنوس يعودني طيفه في الحلم فيذكرني بملاحقة هذه القضية والسعي لدى المسؤولين لحملهم على طبع مؤلفاته .

وفي ليلة اول كانون الثاني من عام ١٩٤٧ عادني الخوري حنا في الحلم وسألني مهمة بسطتها في كتاب وجهته بتاريخ الثاني من كانون الثاني ١٩٤٧ الى فخامة رئيس الجمهورية . وهذا هو نصه :

يا صاحب الفخامة .

لم يولني الحظ شرف مقابلة فخامتكم . فاستنبت القلم عن اللسان راجياً من فخامتكم ان تعيروني من وقتكم خمس دقائق فقط .

ان الخوري حنا طنوس ، يا صاحب الفخامة ، وانتم بغنى عن ان اعرفه اليكم . هذا الرجل الامثل ، واللبناني اللبناني الذى قضى حياته كل حياته يهذب امة انجبت فخامتكم ، ويوجه جيلاً انتم اليوم قائده . مات السنة الماضية بعد حياة ملأى بالكد والتضحيات . وكنت اعوده في ايامه الاخيرة واذكر انه يستعذب التحدث عنكم . وقد اخبرني في ساعاته الاخيرة عن فخامتكم عهد التلمذة القصص الجميلة والنوادر العذبة . ومما دفعني الى كتابة هذه الاسطر هو هذا الحلم الذي قض مضجعي تلك الليلة ، واقلق راحتي . فقد عادني الفقيد في المنام الليلة البارحة وكلفني ان انقل لفخامتكم ما سأقصه عليكم :

حلمت انني نائم تموج بين اهدابي خيالات وصور ، واذا بي اشعر في (الحلم) بيد تمتد الى صدري وتهزني ثلاث مرات ، استيقظت على اثرها (في الحلم دائماً) مذعوراً قلقاً . واذا امامي الخوري حنا طنوس كما عرفته في شيخوخته مرتدياً ثوبه الاسود البائخ ، الا انه اعمى .

فجلس قربي على السرير ، وخاطبني بصوت اجش ، وعلى محياه مسحة من الكآبة ما رأيتها قط على وجهه حتى في اشد ساعاته واقساها . قال : «جئت اليك لتذهب الى بشاره فخامة رئيس الجمهورية ، تلميذي الحبيب وتذكره باستاذه العجوز . انا شيخ اعمى لا استطيع الوصول اليه .

قل له ان لبنان الذي احببته من كل قلبي . لبنان الذي عشقته ضاق بي ولم يقابل الحب بالحب » .

قال هذا وهو يلهث تعباً ؛ ورأيت العرق يتصبب من جبينه . فمد يده ومسحه ثم وقف واستطرد . « والاستاذ حيمري لا تنس ان تقول له اني منتظر جوابه . قد وعدني بطبع رواياتي وحتى الآن لم يبر بوعده . قل له اني « زعلان » . امن العدل الا استفيد منها لا في شبابي ولا في شيخوختي وعجزي . وهذه الروايات هي اعز ما املك . وهي ثمرة جهودي ومولدات قلبي وخيالي وعقلي . انت قل له اني « زعلان » .

وتفتحت اسارير وجهه انئذ ثم اردف : « انا اعرفه واعرف قلبه فاذا علم بزعلي يدبر المسألة وقد عودني على فضله »

وانحنى علي مودعاً ، فطوق عنقي قائلاً : « انا متكل عليك . فانت عصا شيخوختي . واطلب منك ان تنشر القصيدة التي نظمتها للشيخ بشاره بمناسبة تسلمه كرسي الرئاسة . لا تنس لا تنس » .

فقبلت يده وهممت بالوقوف لارافقه واذا بقشعريرة تهزني فاستيقظت . استيقظت فعلاً هذه المرة ؛ ورأيتني وحدي في الغرفة ، قابضاً على عمود السرير ؛ وفي اذن اذني بقية كلمات تتلوى . وشبه همس يتغلغل في مسمعي . وصدى نبرات تذوب .

هذا يا فخامة الرئيس حلمي الذي رأيته ؛ سردته عليكم لانه قد اثر في كثيراً . واحببت ان انقل اليكم ما بثني فقيدنا الكريم . وتلبية لرغبته سانشر عاجلاً قصيدته في فخامتكم التي مطلعها :

بشرى البشائر في اصقاع لبنان دقت تنادي باسعاد واحسان

هذا واعذروني اذا ازعجتكم وتقبلوا يا فخامة الرئيس بصادق احترامي وفائق اخلاصي .

بيروت في ٢ / ١ / ١٩٤٧

اميل ابي نادر

فظل هذا الكتاب دون جواب ولا نتيجة .

وفي الثالث والعشرين من شهر آب عام ١٩٤٧ اعدت محاولة السعي لطبع رواياته فوجهت كتاباً الى وزير المعارف انذاك الاستاذ حميد فرنجيه اقتطف منه ما يلي :-

وان النابغة اللبناني العلامة الخوري حنا طنوس توفي السنة الماضية ، وقد خلف من الروايات المسرحية ما يربي على الاربعين ، وهي كلها من خيرة الروايات من حيث المعنى والمبنى ، ومن حيث العاطفة اللبنانية الخالصة الصادقة .

ولما كنت يخشى ان تضعضع هذه الروايات ، فيفقد لبنان ثروة ادبية تذكر ، وتراثاً مسرحياً قيماً ، جئت بكتابي هـذا اعرض على وزارة المعارف ، وانتم على رأسها من الذين يقدرون منتجات العقل ومولدات الخيال ، ان تشتري هذه الروايات لطبعها او لحفظها كمخطوطات .

ففي هذه الايام ، ووزارة المعارف تبذل جهداً يذكر فيشكر ، لرفع المستوى الثقافي ، فتعقد المؤتمرات ، وتبذل الالوف من الليرات في هذا السبيل ، تلفت نظرها الى هذه القضية . ولنا امل عظيم بانكم يا معالي الوزير ستولون هذه الروايات اهتمامكم حرصاً عليها وعلى التراث اللبناني .

وتحضرني في هذه المناسبة ابيات قالها المرحوم الخوري حنا طنوس فيكم :

سألوا النزاهة والنجابة والحجى — من نصطفيه للبلاد عميدا
فاجابت العلياء هبوا وانتقوا — شهماً غدا بين الانـام فريدا
طافوا البلاد فصادفوا في اهدن — رجل الجهاد المستميت حميـدا

وتقبلوا يا معالي الوزير ، باخلاصي وتجردي واقبلوا فائق الاحترام .

٢٣ / ٨ / ١٩٤٧

اميل ابي نادر

وبقي هذا الكتاب ايضاً دون جواب ولا نتيجة .

وعلى الرغم من شعوري باني اصرخ في واد ، وانفخ في رماد ، لم أيأس ولم تنثن عزيمتي عن ملاحقة المسؤولين ، لاحملهم على المساهمة في طبع روايات الخوري حنا طنوس ، واحياء ذكره . وفي الخامس من ايار عام ١٩٥٠ وجهت كتاباً مفتوحاً الى وزير التربية الوطنية الامير رئيف ابي اللمع نشر في صحيفة « العمل » في العدد رقم ١٢٥٨ اقتطف منـه ما يلي :

سيدي الوزير .

في الساعة السادسة من مساء اول امس الاربعاء ، مثلت في قاعة جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين رواية « شهداء نجران » لمؤلفها العلامة الخوري حنا طنوس .

رأيناك مترئساً الحفلة . وتفرسنا في ملامحك فقرأنا فيها امارات الاعجاب والتأثر ، وشهدناك تصفق ، تصفق من كل قلبك ، لمشاهدها الرائعة .

ولكن الاعجاب يا سيدي الوزير ، لا يكفي والتصفيق لا يجدي .

رأيناك امام الروكسي تخطب في الطلاب ، وسمعناك في المكتبة الوطنية تحدث عن مشاريعك التربوية والتثقيفية ، واصغينا اليك تلقي كلمتك في حفلة احياء ذكرى المرحوم الخوري يوسف الحداد : فالفيناك في هذه المواقف وسواها ، اديباً اريباً تغار على الادب والأدباء ، وتود ان تساعدهم جهد المستطاع .

فصاحب رواية « شهداء نجران » هو من اولى الناس باهتمامك ومساعدتك . ومثلك من هو بغنى عن ان نقول له من هو الخوري حنا طنوس .

هو احد نوابغنا المجهولين ، نذر حياته لتعليم النشء ، وتثقيفه ، فلم يبد من النشء الذي علم ، ما يشير الى انه وفي له ، حافظ ذكره .

واحب لبنانه حتى العبادة ، ولا اغالي ، وتغنى بجماله وروائعه في منظومه ومنثوره ، فاذا لبنانه لا يكرمه في حياته ، ويتجاهله ويتناساه بعد مماته ، في الوقت الذي يكرم ويمجد — عفوك يا قلم — اصحاب الاقلام المرضوضة ، والمتطفلين على الادب ، من قارعي الطبول ، وضاربي الصنوج ، وساكبي العطور .

رجل فذ ، خدم دينه ودنياه ، وضحى وجاهد بتجرد وأي تجرد ، واخلاص لم يعرف حداً ، فادى رسالتيه على اكمل وجه .

خمسين سنة قضى بين التدريس والتأليف ، معلماً واعظاً خطيباً . فنفح لبنانه والمكتبة العربية ، بالرائع من القصائد ، والخالد الخالد من الروايات المسرحية .

عرفته وشمسه تدلف نحو المغيب ، فتعرفت فيه الى القلب الذي لم يشب ، والهمة التي لم تشخ .

قال لي قبل وفاته بيومين ، وهو يتقلب على فراش الموت ويحمل على كاهليه وطء الثمانين ، وفي صدره ثقل قلبه الكبير ، « لم استفد من كل حياتي الا التصفيق » .

سيدي الوزير

منذ متى وتعمل وزارة التربية الوطنية لتشجيع الادب والادباء؟ ان تآليف الخوري حنا طنوس . ولا سيما مسرحياته منها . يأكلها العث . وبرغم العفن . وكتابي هذا ليس الاول من نوعه – ولا الاخير ان شاء الله ودعت الحاجة – فقد سبق لي ان رفعت بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩٤٧ كتاباً بهذا الصدد الى فخامة رئيس الجمهورية . وبتاريخ ٢٣ آب ١٩٤٧ كتاباً آخر الى وزير التربية الوطنية آنذاك . الاستاذ حميد فرنجيه . وما زلت انتظر النتائج .

فيا لكم : وانتم على رأس وزارة التربية الوطنية . ان تسعوا لمكافأة هذا العلامة . ولو بعد مماته : بطبعكم مسرحياته أو بعضها : واطلاق اسمه على احد شوارع العاصمة التي خدم بنيها وربى شبيبتها ؟

فان فعلتم اديتم له : وللنشء اللبناني . وللمكتبة العربية المفتقرة الى مسرحيات : خدمات تذكر فتشكر .

والا فاعذروني . يا سيدي الوزير : على سذاجتي وحسن نيتي .

« العمل عدد ١٢٥٨ » في ٥ / ٥ / ١٩٥٠

اميل ابي نادر

وهذا الكتاب ايضاً بقي دون جواب ولا نتيجة . ففهمت عندئذ اني ساذج حسن النية : واستيقظت من وهمي : وعدت الى رشدي : وادركت ان كل محاولاتي ستبوء بالفشل . فتوقفت عن كل نشاط وسعي في هذا السبيل .

ليعذرني القارئ اذا استرسلت في هذه التفاصيل التي دفعني الى بسطها رغبتي في اعطاء القارئ فكرة عما لحق الخوري حنا طنوس من اجحاف : في حياته وبعد مماته . واذا كان اطلق على نفسه لقب « حنا دون فلس ولا طرس » فانه ليحق ان يلزمه ايضا لقب « المهمل او المنسي في حياته وبعد مماته » .

شاعرية الخوري حنا طنوس

اتراه خطيباً ؛ ام مؤلفاً مسرحياً ؛ ام كاهناً .

لست ادري . فقد يكون الاول وقد يكون الثاني . وقد يكون الثالث ؛ وقد يكون الثلاثة معاً ؛ أنما الذي لا شك فيه . هو انه شاعر قبل كل شيء ؛ شاعر في كل الاحوال وفي كل من كان .

الخوري حنا طنوس ؛ في شخصياته المتعددة التي تلاحمت فيه ؛ وتلاصقت ؛ وتلاقحت فتكاملت ؛ كانت شخصية الشاعر طاغية على كل سائر الشخصيات . كان شاعراً وهو يخطب ؛ شاعراً في مختلف تصرفاته وحياته اليومية . وقد تميز انتاجه الشعري بصبغة لبنانية فريدة . لقد تغلغلت في احاسيسه ومشاعره تلك الروحانية اللبنانية حتى تمكنته ؛ فغدا شاعرنا « نبضة في قلب لبنان . ودمعة في عينيه ؛ وابتسامة على شفتيه » .

ولبنانه جنة تنساب فيها الانهار . على جداجد من مرجان ؛ لبنانه ينابيع وازهار :

لبنان يا جنة الفردوس لبنان ... يا روضة بسناها الكون يزدان
ومن رأوا انه الفردوس . ما غلطوا ... كل البدائع فيه وهو بستان
بستان حسن به الانهار جارية ... ومآؤه الشهد والحصباء مرجان
فيه الينابيع ما احلى عذوبتها ... فيها من الزهر اشكال والوان
وخمره قد غدا بين الورى مثلاً ... وقول توراتنا للناس برهان
تنمو الرجال اسوداً في عرائنه ... وترضع البأس ابطال وشجعان
ان قيل اي بلاد الله قد سبقت ... في الحسن؟ قلنا على الاطلاق لبنان

والارزة كان لها في شعره النصيب الوافر . فهي غرسة الرب ؛ تاج الجنة .

ارزتي يا ما احلى ارزتي ... غرسة الرب وتاج الجنة
غابة في منحنى مكملنا ... طوق حسن زان جيد الجنة
هذه الارزة قد قلسها ... دم قوم سال للحرية
هذه الأرزة قد كرسها ... شرق لبنان بسيف المردة
تحتها كم مر غاز طامع ... حاني الرأس ذليل الجبهة

يا شباب الارز كونوا حوله   اسداً تحمي عرين المنعة
وارفعوا رايتكم منصوبة   في ذرى المجد باعلى قمة
تهتف الارزة في آذانكم   عضدي انتم وانتم قوتي

وشاعرنا احب ارزته حباً دفعه الى عبادتها بعد ربه. وتمنى ان يحاك كفنه من اوراقها وان يدفن في ظلها كي تتغذى من رفاته:

بعد ربي ارزتي معبودتي.   ارزتي عزي حياتي بهجتي
فاذا روحي نأت عن بدني   تحت ظل الارز واروا جثتي
ومن الاوراق حيكوا كفني   كي تسلي وحشتي في وحدتي
فعسى من بعد موتي واننا   من رفاتي تتغذى ارزتي

ذلك لان الخوري حنا طنوس يعتقد انه يبقى حياً اذا دفن في ظلال الارزة. فان حملها بيده. وهو في الثمانين من العمر يستعد شبابه. وان مات ودفن في ظلها. فسيبعثه نسيمها. وقد ابى الا ان يوجه الى الشباب اللبناني: وهو في عقده التاسع وقد الوت السنون عوده. هذه الوصية:

يهيب بكم ارز الخلود: انا لكم   لكم وحدكم من دون كل الاجانب
الا فاحفظوا عهدي نظير جدودكم   لتبعد عني كل وثبة واثب
الا واجمعوا حولي الشباب كتائباً   وصونوا ترابي الحرّ من كل غاصب
الا واجعلوا لبنان في الشرق جنة   تتوق لمرآها ملوك الاعارب
لتخشع في الشرق القصي بنودها   وتعنو لعلياها ملوك المغارب
الا وليكن لبنان رب قلوبكم   ومرمى امانيكم ومبدا المذاهب
ايا ارزتي تفديك روحي من الاذى   وتفدي بنيك من مقيم وغائب
الا حملوني راية الارز لحظة   تعيدوا بها عهد الشباب لشائب
وان مت يوماً فادفنوني بظلها   يهنئ رمسي كل آت وذاهب
لان رفاتي تستلذ نسيمها   وابعث ان مرّ النسيم بجانبي

ولبنان شاعرنا: وطن ازلي سرمدي: صانه الجدود: وبذلوا في سبيله المهج والارواح، وجعلوه باتحادهم وتعاضدهم معقلاً للحرية والكرامة: وملجأ للمضطهدين: ولكل من قسا عليهم دهرهم او جار. وهو لا يخاف عليه شراً، ما دام الاحفاد يقتفون خطى الاجداد، وما دام هناك الله يكلأه بعنايته، ومخلصون يرعونه ويحافظون عليه.

اجدادنا جعلوا لبناننا جبلاً … حرًّا اليه يوافي كل فزعان
خطت على ارزه العالي دماؤهم … لبنان ارث لكم يا آهل لبنان
ان لم تصونوا ببذل الروح ارزتكم … سمعتم لعن اجداث واكفان
جدودنا ثمن استقلالنا سفكوا … دماً ذكياً رفيع القدر والشان
سيل الدما في ربى لبنان البسه … كالارجوان بلون الاحمر القاني
يا خائفين على لبنان في غده … تلك المخاوف من وسواس شيطان
دعوا الوساوس بل كونوا على ثقة … رئيسكم في صميم القلب لبناني
يا ارز لبنان لا تخش الردى ابداً … عليك تسهر في الحدثان عينان
عين الرئيس وعين الله تكلأها … لدى الشدائد من كيد وعدوان

ولكن من يدري ؟ فقد تبذر في حقوله بذور الشر والفتنة . وقد تعصف ريح لتزعزع رواسيه . لكن شاعرنا لا يخاف عليه شراً . ما دام الله وطد اركانه ، ورفع قممه حتى السحاب ؛ وما دام وراء لبنان اساد وشجعان :

اما تسود كما قد كنت من قدم … اما اموت فدى والقلب جزلان
لقد دحاك اله العرش مرتفعاً … حتى السحاب ؛ فلا يعروك خذلان
ان رام خنقك اقوام فقل لهم : … وراء لبنان اساد وشجعان

على ان هذا الاستقلال ؛ ادرك الخوري حنا طنوس ، انه لن يبقى ويستمر الا بوحدة بنيه جميع بنيه ، واتفاق طوائفه جميع طوائفه . هذا الكاهن الورع الملمان في اللاهوت «علمن» الايمان و«انسن» الدين . فتدين ولم يتمذهب ؛ وادرك ان الدين الحقيقي ليس تمتمات على شفاه . بقدر ما هو شعور في قلب واحساس في ضمير ووجدان . فكان دائماً داعية الى الالفة والمحبة والتعاضد والتآخي ؛ لان الاديان الحقيقية في رأيه ، تجمع ولا تفرق .

اجدادنا باتحاد الرأي قد فتحوا … ممالك الارض من قطب الى قطب
وانتم ما فعلتم في تفرقكم ؟ … هل انزل الله ذا التفريق في الكتب ؟
اوصى المسيح بحب الناس قاطبة … حتى نكون جميعاً اخوة لاب
وسن احمد دستوراً لامته … حتى توحد في مجموعها العصبي
انجيلكم يا نصارى في كنائسكم … وفي الجوامع قرآن لنسب
والدين رابطة ما الدين تفرقة … دين يفرق مبني على الكذب

هذا هو لبنان كما اشتهى الخوري حنا طنوس ان يكون. هذا هو لبنان الذي احبه وما انفك ، طوال حياته ، يخدمه باللسان والجنان . واغمض عينيه تموج بين جفنيه صور عنه والوان . مات وهو يردد هذه الابيات يخاطب بها وطنه :

عشقتك يا لبنان في صغري ... فزاد حبك في قلبي مع الزمن
فكنت عندي عزيزاً لا يعادله ... اعز ما يقتنى من فاخر الثمن
ولا ازال بنار الحب مستعراً ... اني احبك حتى داخل الكفن
وان امت فاجلبوا من غربتي جسدي ... ولو عظاماً تعرت من عرى البدن
وحركوها تناديكم بقعقعة ... هيموا بلبنانكم في السر والعلن

واذا احب الخوري حنا طنوس لبنان ، فلانه وطن الحرية : ولعل ابرز مميزات شعره وخصائصه : تلك النزعة الى الحرية والاستقلال . ولقد كان في حياته متحرراً من كل القيود : من قيود المادة التي احتقرها : من قيود المال الذي رفسه برجله . ولم يجمع منه في حياته ما يمكنه من شروى نقير . فعاش في عالم الروح والجمال زاهداً في الدنيا ومغرياتها . معتزلاً زخارف الحياة ومباهجها . واذا كانت العزلة داء او دواء او غذاء كما قال فيلسوف الفريكة امين الريحاني : فقد كانت العزلة للخوري حنا طنوس الغذاء كل الغذاء . فهاكه يخاطب العصفور رمز الحرية :

اعصفور السماء خلقت حراً ... تحلق في الفضاء مدى السنينا
فما اشهى الحياة اذا استقلت ... واشقاها اذا ما قيدونا
وما ادنى الانام وهم عبيد ... واعلانا اذا ما حررونا
برانا الله احراراً جميعاً ... فيا قوم الطغاة ظلمتمونا
برا الاسماك تسبح في بحار ... وفي الافلاك ، رهطاً سابحينا
نجوماً ساطعات طالعات ... على الدنيا يرحن ويغتدينا
تطوف الشمس في الافلاك دهراً ... تحيينا صباحاً ما حيينا
تغني الطير في الاسحار لحناً ... بتغريد يلذ السامعينا
فكل في السما والارض حر ... سوى الانسان عبد السائدينا

هذا الانسان ، ليعيش حراً وينعم ببهجة الحرية ، عليه ان يحرر نفسه من شهواته على مختلف اشكالها والوانها . فبقدر ما يتعلق المرء بالخيرات الترابية ويعشق دنياه تنحط انسانيته ويسفل ، وبقدر ما يترفع عن جاذبية

المادة . يرتفع ويسمو . وقد اوحى البدر للخوري حنا طنوس في هذا الموضوع . قصيدة رائعة . جمع فيها شاعرنا جمال الوصف الى متانة السبك وجزالة اللفظ الى سلاسة التعبير وروعة الصور والتشابيه .

علام علام يا ملك الليالي ابيت اليوم ان تسبي العيونا
فكم لك طلعة بين الدياجي تنير العين تحيي الناظرينا
فلولا النور تبعثه مضيئاً لبات الليل مكتئباً حزينا
فما لك لا تضيء فدتك نفسي تعزي القلب اذ تنثي الشجونا
فهل وضعت لك الدنيا قيوداً ؟ وهل شادت لك العليا سجونا ؟
تمثل عمرنا في كل طور فتكبر نامياً كالاصغرينا
وتهرم ثم تفنى في محاق كذاك المرء تفنيه السنونا
كانك عاشق اذ انت بدر وما اشقى حياة العاشقينا
اذا غابت غزالته بغرب بدا في الشرق مصفراً جبينا
وبث باثر غادته عيونا نجوم الليل . ما ابهى العيونا
وينفث من تلهفه زفيرا نسيماً . او انيناً ، او حنينا
وعند الوصل بعد الجد يمسي هلال الشك يوشك ان يبينا
كذا الدنيا فراق والتقاء وهجر بعد وصل المغرمينا
اذا عشق الفتى دنياه يشقى ويضعف نوره حيناً فحينا
ويسعد ان تناءى المرء عنها ويعظم فضله في العالمينا

هذه لمحة خاطفة عن شاعرية الخوري حنا طنوس . ولو احببنا الاسترسال لاتسع لنا المجال لاملاء صفحات وصفحات . لكننا شئنا . في ما بسطنا وفي الاشعار التي بها استشهدنا . ان نعطي فكرة عن وطنية الخوري حنا طنوس من خلال شعره وعن رسالته الانسانية والاجتماعية والروحية . انه كان معلم اخلاق وفضائل . وصناجة اللبنانيين في ميدان الوطنية . وداعية الى الفة ومحبة وتفاهم .

المؤلف المسرحي

« طالما صفقت مسارح بيروت في الربع الاول من القرن » العشرين لابطال الخوري حنا طنوس ، يمثلون مختلف » الشواعر الانسانية ، في الفواجع ، والفواجع الشعبية . » يستثيرون العواطف ، ويفتنون الجمهور . في فترة من الزمن . الى البطولة السمية حتى التفاني والتضحية والاستشهاد . »

... ويبدو الخوري حنا على اضطلاع بفنه ، وتصرف بلغته ، فلا يفوته حس التاريخ ، ولا تصوير البيئة . ولا خصب الخيال ، ولا فيض الشعور . كما لا تفوته ضجة الخطابة ، ولا سرعة الحوار ، ولا اصول الصناعة المسرحية » .

فؤاد افرام البستاني

كان الخوري حنا طنوس شاعرًا وخطيباً ومؤرخاً واديباً ولاهوتياً . لكن شهرته ، كمؤلف مسرحي ، طغت على ما عداها . وجعلته اشهر رواد هذا الفن ، واشرقهم وجهاً ، حتى اعتبره بعض عارفيه رائدًا للادب المسرحي في الشرق .

فهل يفهم من ذلك انه اول من ادخل الفن المسرحي الى الادب العربي واول من الف تمثيليات ؟

كلا . لم يكن الخوري حنا طنوس السباق في التأليف المسرحي . انمـا كان اخصب من انتج للمسرح العربي تمثيليات ، فيها من عناصر الادب ومقوماته ، ما قد لا يتوافر في نتاج الكثيرين ممن سبقوه في هذا المضمار .

ولا بد هنا من القاء نظرة خاطفة على تاريخ المسرح العربي فناً واديباً قبل الخوري حنا طنوس .

مارون النقاش

لقد اجمع الباحثون في الاداب العربية على ان الفن المسرحي ابصر النور على يد اللبناني مارون النقاش الذي ولد في صيدا يوم الاحد في التاسع من شباط ١٨١٧ ، ومات في طرسوس في اواخر ايار ١٨٥٥ .

فعلى اثر عودته من سفرة الى ايطاليا، حيث حضر فيها تمثيل روايات على مسارحها اعجبته، خطر على باله نقل هذا الفن الى العربية. فضم اليه بعض اصدقائه في بيروت وشرع يعلمهم فن التمثيل. والف عام ١٨٤٧ رواية «البخيل»[١] مثلت في بيته، بحضور قناصل المدينة واعيانها ووجهائها. وكان نجاح هذه الرواية وثناء من حضر تمثيلها، حافزاً لمارون النقاش على ان يؤلف عام ١٨٤٩ رواية ثانية اسمها «أبو الحسن المغفل او هارون الرشيد» جرى تمثيلها في بيته ايضاً امام جمهور كبير بينهم والي سوريا، وبعض الوزراء ورجال الدولة. فكالوا له من عبارات الاطراء والتشجيع، ما حمله على تأسيس مسرح خاص بالتمثيل بموجب فرمان سلطاني، جانب منزله الذي تحول بعد موته الى كنيسة[٢] عملاً بوصيته. وعلى هذا المسرح مثلت عام ١٨٥١ رواية اجتماعية ثالثة «السليط الحسود». فكانت بادرة مارون النقاش هذه فاتحة نهضة مسرحية ابتدأت في لبنان ثم امتدت الى مصر فسائر الاقطار العربية.

نقولا النقاش[٣]

وكان نقولا النقاش اول تلاميذ شقيقه مارون واول من تابع رسالته. فمن آثاره مسرحية «الشيخ الجاهل» الفها عام ١٨٤٩ ومسرحية «ربيعة ابن زيد المكدّم» وضعها عام ١٨٥٢.

سليم خليل النقاش

ثم اتى سليم خليل النقاش ابن شقيق مارون، فالف فرقة للتمثيل في بيروت، وحمل شعلة النهضة المسرحية الى الاسكندرية عام ١٨٧٦، حيث كانت مصر، التي تنعم بالحرية في ظل الاستقلال الذاتي عن الحكم التركي، قد فتحت نوافذها لتيارات الحضارة الانسانية بعد ان اصبح مناخها السياسي مؤاتياً لذلك. فراح سليم الذي كان قد الف فرقة للتمثيل مؤلفة من اثني عشر ممثلاً واربع ممثلات يقدم روايات بعضها مترجم عن الفرنسية مثل «هوراس»[٤] و«متريدات»[٥] وبعضها عن الايطالية مثل

١) هي مزيج من الفصحى والعامية وغير مسرحية «البخيل» للمؤلف الفرنسي «موليار».
٢) كنيسة السانتا – شارع غورو في محلة الجميزة.
٣) عاش من ١٨٢٥ الى ١٨٩٤.
٤) لكورناي (١٦٤٠).
٥) لراسين (١٦٧٣).

« عايدة » وسواها من الروايات الشرقية التي الفها هو . الا ان سليم النقاش عندما لم تلق فرقته النجاح المرجو تخلى عنها وراح يعمل في الصحافة[١] تاركاً رئاستها الى احد اعضاء الفرقة، يوسف خياط .

يوسف خياط

بعد اقامته في الاسكندرية ردحاً من الزمن مثل خلاله على مسرح « زيزينيا » بضع تمثيليات بينها « صنع الجميل » و « الاخوين المتحاربين »[٢] انتقل بفرقته الى القاهرة عام ١٨٧٩ حيث مثل في دار الاوبرا مسرحية « الظلوم » بحضور الخديوي اسماعيل الذي ظن في الرواية لدى تمثيلها نقداً لاساليب الحكم وقتذاك؛ فغضب على الفرقة وامر بطردها من مصر. فانزوت هذه الفرقة وراحت تتابع نشاطها التمثيلي في شبه تستر وخفاء .

احمد ابو خليل القباني الدمشقي

حوالى عام ١٨٦٥ ظهر في سوريا احمد ابو خليل القباني الدمشقي الذي كان له في سوريا فضل مارون النقاش في لبنان . فالف ومثل « ناكر الجميل » ثم « وضاح » ثم « عايدة » لسليم النقاش، ثم رواية « ابي الحسن المغفل او هارون الرشيد » لمارون النقاش . الا ان الرجعيين في دمشق من علمائيين ورجال دين، اثر حضورهم تمثيلية « ابي الحسن المغفل »، هاجوا وماجوا محتجين على ظهور هارون الرشيد على المسرح على شكل « ابي الحسن المغفل » . ورفعوا شكواهم الى الحكومة العثمانية في الاستانة؛ فاصدرت امراً الى والي الشام حمدي باشا لمنع ابي خليل القباني من التمثيل واغلاق مسرحه .

عندئذ لم يجد بدّاً من النزوح عن سوريا . فانتقل عام ١٨٨٤ الى الاسكندرية : مستأنفاً نشاطه المسرحي . فقدم في قهوة « الدانوب » ومسرح « زيزينيا » عدة مسرحيات من تأليفه : تجمع بين الحوار والغناء والرقص والموسيقى، امثال : انيس الجليس ؛ نفح الربى ؛ عفة المحبين ؛ عنتر ؛ ناكر الجميل ؛ الامير محمود وزهر الرياض ؛ الشيخ وضاح ومصباح قوت الارواح .

---

١) كتب في المحروسة والتجارة والعصر الجديد .
٢) لراسين « تيبايد » (١٦٦٤) .

ومن ثم انتقل الى القاهرة ، ومنها راح يتنقل في مختلف المدن والاقاليم المصرية .

وكما حدث في فرقة سليم النقاش التي انبثقت عنها فرقة يوسف خياط حدث في فرقة القباني اذ ألف احد افرادها اسكندر فرح فرقة خاصة اسماها « جوق مصر العربي » . والى جانبها ظهرت فرقة اخرى مثل فرقة « سليمان القرداحي » و « مسرح رومانو » . قامت تمثل مسرحيات بينها ما هو معرب مثل « استير » لراسين و « تليماك » لفنلون ، وبينها ما هو موضوع مثل « هارون الرشيد » .

يعقوب روفائيل صنوع

وعام ١٨٧٠ ظهر في مصر يعقوب صنوع اليهودي المصري الشهير « ابي نضارة » وقد لقبه الخديوي اسماعيل « موليير مصر » . كان يعقوب احد افراد فرقة فرنسية مؤلفة من موسيقيين ومطربين وممثلين تقوم بتمثيل هزليات وملاه وغنائيات في مقهى كبير في « الازبكية » لتسلية الجاليات الاوروبية في القاهرة . فاستهواه هذا الفن واوحى اليه انشاء مسرح عربي . وبعد ان اكب على درس الكتاب المسرحيين الاوروبيين امثال كولدوني[١] Goldoni وموليار[٢] Molière و « شريدان »[٣] Sheridan ، الف فرقة للتمثيل ضمت فيمن ضمت فتاتين رائعتي الجمال ، كان لظهورهما على المسرح صدى مستحب لدى الجماهير .

وقد الف يعقوب صنوع ومثل اثنتين وثلاثين مسرحية بينها غندور مصر ، غزوة رأس تورة ، زوجة الاب ، زبيدة ، البورصة ، البربري ، الصداقة ، الحشاشون ، الضرتان ، أنسة على الموضة ، موليير مصر وما يقاسيه ، الوطن والحرية ، وله بالايطالية « الزوج الخائن » و « فاطمة » . وبالفرنسية « السلاسل المحطمة » .

وكانت مسرحياته تلقى نجاحاً كبيراً ، وتقترن باعجاب حاضريها واستحسانهم . ولكن ابا نضارة لم يكن اوفر حظاً من يوسف خياط واحمد ابي خليل القباني . فاثر تمثيل « الوطن والحرية » التي رأى فيها الخديوي

١) مؤلف مسرحي ايطالي (١٧٠٧-١٧٩٣) .
٢) مؤلف مسرحي فرنسي (١٦٢٢-١٦٧٣) .
٣) كاتب وسياسي انكليزي (١٧٥١-١٨١٦) .

اسماعيل تعريضاً بحكمه . غضب عليه وامر باغلاق مسرحه ، كما غضب في السابق على يوسف خياط عقب تمثيل مسرحية « الظلوم » . وكما غضبت الاستانة على احمد ابو خليل القباني في دمشق ، بعد تمثيله مسرحية « ابي الحسن المغفل »[1] ، واغلقت مسرحه .

عندئذ راح « ابو نضارة » يمتهن الصحافة و يزاول نشاطه السياسي ، الى ان ضاق به صدر الخديوي ، فامر باخراجه من مصر . فغادرها الى باريس حيث توفي عام ١٩١٢ .

سلامه حجازي

بعد « ابي نضارة » ظهر الشيخ « سلامه حجازي » الذي استقل عن فرقتي اسكندر فرح وسليمان قرداحي فالف عام ١٩٠٥ فرقة غنائية قدم بواسطتها مسرحيات غنائية في مصر وسوريا ولبنان . لكن الشيخ سلامه ، الذي لم يكن ضليعاً في هذا الفن ، قام بتمثيل روايات لا قيمة لبعضها من الوجهة الفنية امثال « ابن الشعب » و « تسبا » و « اليتيمتين » و « الحرم الخفي » و « شهداء الغرام » و « تلماك » و « ضحية الغواية » و « هملت » . الا ان الشيخ سلامه ، نظراً لسخائه على اخراج رواياته ، واتقانه المناظر والملابس ، ونظراً لصوته الشجي الذي كان يجلب الناس الى حضور رواياته ، خطا بالفن المسرحي خطوات جبارة ، ومهد الطريق للفن المسرحي الاصيل . فكان بذلك صلة بين التمثيل القديم والجديد .

جورج ابيض

كل جهود الفرق المسرحية التي اشرنا اليها سابقاً لم تكن الا مقدمة ، او توطئة ، او تمهيداً لظهور المسرح العربي الفني ، المستقل باصوله ووسائله الخاصة . ولم يظهر هذا المسرح الا بفضل جورج ابيض اللبناني الذي ولد في بيروت عام ١٨٨٠ وهاجر الى مصر عام ١٨٨٩ حيث كلأه الخديوي عباس برعايته وعطفه ، فسافر عام ١٩٠٤ الى باريس حيث تلقن فن التمثيل على كبار اساتذته واشهر اربابه ، امثال الممثل الكبير « سيلفان » Silvain[2] .

---

١) لمارون النقاش .

٢) من اشهر ممثلي « الكوميديا الفرنسية » (١٨٥١-١٩٣٠) .

واثر عودته من باريس عام ١٩١٢ ألف . بناء على تشجيع وزير المعارف سعد زغلول : فرقة للتمثيل اختار افرادها من الذين كانوا يشتغلون بمختلف الفرق المسرحية امثال فرق القرداحي واسكندر فرح والشيخ سلامه حجازي . ومثل مسرحيات « جريح بيروت » لحافظ ابراهيم : و« اوديب » لسوفوكل[1] عربها فرح انطون و « عطيل » لشكسبير[2] عربها خليل مطران . وبعض هزليات لموليار عربها عثمان جلال مثل « ترتوف » و « مدرسة الازواج » و « مدرسة النساء » و « النساء العالمات » .

ثم اتفق جورج ابيض والشيخ سلامه حجازي فالفا معاً عام ١٩١٤ فرقة مثلت روايتي « صلاح الدين الايوبي » و « عايدة » .

وقبيل الحرب العالمية الاولى بدأ الشعب يتذوق الفن التمثيلي : وينظر اليه نظرة جديدة . فاتفق عبد الرحمن رشدي وسليمان نجيب ومحمد ابراهيم ومحمد تيمور واحمد رامي ومصطفى غزلان على تأليف جمعية « انصار التمثيل » واخراج مسرحيات .

وخلال تلك الحرب أنشأ بعض الرأسماليين في مصر « شركة ترقية التمثيل » قدمت عدة روايات كان من انجحها « الراهب المتنكر » لكاتب متنكر : عرف فيما بعد: انه امين الخولي احد طلاب القضاء الشرعي في مصر .

وعام ١٩١٦ اطل على المسرح نجيب الريحاني فابتكر في قهوة «روزاني» بمصر شخصية « كشكش بك » وظل يحترف الفن المسرحي مؤلفاً وممثلاً الى ان مات ١٩٤٩ .

ان فرقة عبد الرحمن رشدي ورفاقه لم تعمر طويلاً : واما جورج ابيض فلم يثبت بفرقته: واذا يوسف وهبه يظهر على اطلال الفرقتين ويتخذ من مسرح « رمسيس » ميداناً له .

النشاط المسرحي في لبنان

بعد هذا العرض السريع الذي لا غنى عنه للنشاط المسرحي تأليفاً وفناً في سوريا ومصر : هل يفهم ان لبنان كان خلال كل هذه السنوات في حالة ركود وجمود؟ كلا . فشعلة هذه النهضة المسرحية التي اولعها في

---

١) سوفوكل : احد اكبر شعراء اليونان (٤٩٦–٤٠٥) قبل المسيح . ألف مأساة « اوديب الملك » عام ٤٤١ ق. م.

٢) شكسبير ١٥٦٤–١٦١٦ . ألف « عطيل » عام ١٦٠٤

بيروت مارون النقاش واتقدت وسطعت في مصر. لم يخب نورها في لبنان. بل ازداد على مر الايام تألقاً واشعاعاً. واذا المسرحيات تمثل بكثرة في مختلف المعاهد والمدارس.

١) مدرسة الشرفة

« أدم وحواء » (١٨٦٨) للخوري فيلمون الكاتب. «يوسف الحسن بن يعقوب » (١٨٦٩) للخوري اسطفان الشمالي ؛ « ملك فارس » (١٨٨٤) نقلها عن الايطالية الخوري يوسف معارباشي. « احسان الانسان » و « الفتاة الخرساء » لخائيل دلال.

٢) المدرسة الوطنية

التي اسسها المعلم بطرس البستاني عام ١٨٦٣ مثلت « يوسف الحسن » (١٨٦٥) للخوري نعمة الله البجاني ؛ « تلماك » (١٨٦٩) اقتبسها سعدالله البستاني عن « فنلون ».

٣) المدرسة الاسرائيلية

« انتصار الفضيلة » (١٨٧٩) لانطون شحيبر. و « الشرف » ١٨٩٥.

٤) مدرسة الثلاثة اقمار

« العيلة المهتدية » (١٧٧٢) لشاكر شقير.

٥) البطريركية

« كسرى والعرب » لخليل شماس.

٦) المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك في زحلة.

« شاول وداود » (١٨٩٧).

٧) زهرة الاحسان

« عتليا » (١٨٩٨) لنجيب جبشان.

٨) الكلية اليسوعية في بيروت

« حكم هيرودوس على ولديه » (١٨٨٩) للشيخ عبدالله البستاني ؛ « ابن السموأل » ؛ و « المهلهل » ؛ و « شهداء نجران » ؛ و « نكبة البرامكة » ؛ « وحرب الوردتين » للشيخ عبدالله البستاني ؛ و « وفاء السموأل » (١٨٨٧) للاب

خليل اده. و «عبدالرحيم ملك صيدون» (١٩٠١) ليوسف شبلي ابي سليمان. و «الرشيد والبرامكة» (١٩١٠) للاب انطون رباط.

•

لو احببنا ان نسترسل في ذكر سائر المدارس والجمعيات التي مثلت مسرحيات. والادباء الذين انتجوا تمثيليات لطال المجال. انما هذه اللمحة عن النشاط المسرحي تأليفاً وتمثيلاً كان لا غنى عنها لاعطاء فكرة عن الفن المسرحي منذ مارون النقاش حتى يوسف وهبي، والاطوار التي مر بها، والجهود المشكورة التي بذلت في سبيله. ولكن لا بد هنا من سؤال: هل الجهود التي قامت بها الفرق المسرحية. وهل الاثار من الفوا للمسرح خلقت ادباً مسرحياً؟

الآثار التمثيلية بين الفن والادب او بين الوسيلة والغاية

لا شك في ان ذلك النشاط المسرحي قد اوجد. الى حد ما. فناً تمثيلياً. انما لم يخلق ادباً مسرحياً باقياً على غرار الادب المسرحي في العالم الاوروبي. لان المؤلفين والممثلين، على حد تعبير الدكتور احمد مندور[١]، «نظروا الى فن التمثيل كوسيلة من وسائل التسلية والترفيه. ولم يخطر ببال من تعاطوا هذا الفن انه وسيلة لبث الحياة في الادب المسرحي. ولم ينكروا في ان فن التمثيل يجب ان يستند الى ادب تمثيلي يدخل في تراثنا الادبي العربي»، الفن التمثيلي شيء والادب التمثيلي شيء آخر. فالفن التمثيلي وسيلة، والادب التمثيلي هو كالشعر والقصة وسائر الفنون الادبية، غاية بحد ذاته له اصوله ومقوماته وشروطه بصرف النظر عما اذا كان الاثر الادبي سيمثل على المسرح او سيقرأ.

الخوري حنا طنوس

هذا ما ادركه الخوري حنا طنوس الذي اطلع على الآداب اليونانية واللاتينية والفرنسية، وتراثها المسرحي، ففهم ان المسرحية، ولو كانت تزداد رونقاً وحياة وروعة بفضل الاخراج والتمثيل وحسن الاداء، يجب ان تتوافر فيها عناصر الحياة والمقومات الادبية التي تجعلها اثراً ادبياً باقياً في تراثنا الادبي الفكري، لا يفقد قيمته كل قيمته، وروعته كل روعته، اذا قرئ ولم يمثل.

١) في كتابه «المسرحية في الادب العربي الحديث».

فمن هذا القبيل يمكننا ان نقول ان الخوري حنا طنوس خلق بما انتج، عدداً ونوعاً، مسرحاً فيه من عناصر الادب ما لم يتوافر في نتاج الكثيرين ممن سبقوه في هذا المضمار. ومن المؤسف حقاً ان الذين درسوا الآثار المسرحية اغفلوا اسم الخوري حنا طنوس. فلا الدكتور محمد يوسف نجم في كتابه «المسرحية في الادب العربي الحديث» ولا الدكتور احمد مندور في كتابه «المسرح» ذكرا تآليفه او اشارا اليه ولو عرضاً في سياق ابحاثهما وتعداد اسماء المؤلفين المسرحيين. ولعل سبب هذا الاغفال عدم اطلاعهما على آثاره المسرحية التي لم يطبع منها الا اربع تمثيليات من اصل ست وثلاثين.

فمن آثار الخوري حنا طنوس المسرحية التمثيليات التالية:

المخطوطة

رجال الغابة السوداء. القرد الكبير. امير لبنان وكسرى. صبي الدهاليز. ملك الديامیس. الحلم الرائع والصحو الفاجع. الخارث. ابطال الاخرس. الاعمى البصير. تخليص الوطن. حرب داحس وغبراء. غرسيا. يوسف بك كرم. المهلهل. العقل اللبناني والدهاء العثماني. عبد المنعم امير جبيل. داود وشاول. يهوديت. قسطنطين الملك. طوبيا البار. يوسف حسن. ابي شالوم. مار لويس. يوحنا فم الذهب. ليلى العفيفة. دانيال النبي. الدنانير الحمر. قايين وهابيل. جريمة وتكفير وغفران. وسيدة لبنان بالاشتراك مع بدوي ابي نادر.

المطبوعة

النعمان الخامس. البطريرك حجولا. امير الارز. البطل المجهول. العمران. شهداء نجران (نشرتا في المشرق).

فقلة عدد المطبوع من تمثيلياته حمل بعض دارسي الادب المسرحي ونخص بالذكر منهم الدكتور احمد مندور الى القول في كتابه «المسرح» ان احمد شوقي يعتبر رائداً للادب التمثيلي اثر صدور اولى مسرحياته الناضجة «مصرع كليوباتره» عام ١٩٢٧.

وفي الواقع ان الخوري حنا طنوس بدأ ينتج ادباً مسرحياً منذ عام ١٩٠١ فكان له حتى عام ١٩٢٧ ما لا يقل عن خمس وعشرين مسرحية

اشهرها : ملك الديامِيس (١٩٠١) شهداء نجران (١٩٠٣) . النعمان الخامس (١٩٠٥) . البطل المجهول (١٩٠٦) . غرسيا (١٩٠٧) العمران (١٩٠٩) . داحس وغبراء (١٩١١) . يوسف بك كرم (١٩١٣) ؛ امير لبنان وكسرى (١٩١٤) العقل اللبناني والدهاء العثماني (١٩١٩) رجل الغابة السوداء (١٩٢١) . انطريك حجولا (١٩٢٣) امير الارز (١٩٢٧) . وظل ينتج حتى عام ١٩٤٦ قبيل وفاته. فكانت خاتمة نتاجه المسرحي «جريمة وتكفير وغفران» .

طريقته في التأليف

كانت غاية الخوري حنا طنوس اظهار الفضائل ، وتمجيد البطولات والنخوة والمروءة وسائر الشمائل الانسانية . وكان يؤلف مسرحياته بسرعة مدهشة ؛ وقلما انتج مسرحية الا بناء على الحاح من طلبها منه وتحت الضغط . فكان يضع لمسرحيته تصميماً ثم يقول : «ان الرواية قد اعددتها وهي جاهزة» . وعندما كان يسأل اين هي ، يشير الى رأسه قائلاً : «هي هنا» . ويستقدم اليه عدداً من تلاميذه يوزع عليهم الادوار ثم يملي عليهم الرواية . ويجمع تلاميذه ما استكتبهم فاذا بين ايديهم مسرحية .

اما الخوري حنا فلا يحتفظ بنسخة . ومن كل مسرحياته لم يكن لديه واحدة منها . لذلك ضاع العديد من آثاره وفقد . ولم يوجد له اثر . واذا كان لديه نسخة فكان يحتفظ بها حتى تمثيل المسرحية . وبعد ذلك يرفسها برجله غير مكترث لها مطلقاً . وهذا ما حدث لمسرحيته «عبد المنعم امير جبيل» المفقودة .

احد تلاميذه[1] عندما سئل عما اذا كان لديه نسخة عن مسرحية «عبد المنعم» روى القصة التالية : «ان هذه المسرحية اثر تمثيلها على مسرح القديس يوسف للآباء اليسوعيين، صاح الخوري حنا بصوته الجهوري «نجحت ، نجحت» . ورفس النسخة التي بين يديه فتطايرت اوراقها في الفضاء وتبعثرت . فاسرع احد تلاميذه النجباء[2] وقد كان اديباً وشاعراً واصبح فيما بعد نائباً ووزيراً ودبلوماسياً ؛ ومن مشاهير رجال لبنان السياسيين ، فلملم هذه الاوراق المبعثرة ، وجمعها الى بعضها بعضاً قائلاً : هذه قلادة في جيد الادب» .

١) يوسف التلبوني .
٢) يوسف السودا .

هذه النسخة فقدها نسيبه المذكور بعد تنقله في السلك الخارجي طوال سنين عديدة بين عواصم الشرق والغرب.

نسقه المسرحي

ان مواهب الخوري حنا الشاعرية والخطابية . واطلاعه العميق على سيكولوجية النفس البشرية . مكنته من التفنن في الاسلوب والوثوب على حواس حاضري مسرحيته وقلوبهم ليستحوذ عليها : طوراً بالترغيب والاعجاب . وتارة بالتهويل والارهاب . وتبقى الانفاس حبيسة الصدور تتأرجح في يديه بين الرجاء والامل . والجزع والوجل . حائرة بائرة قلقة . حتى تحل العقدة فينبسط القلب وينشرح الصدر . فضلاً عما في المسرحية من تنوع التقلبات والمشاهد والمبغتات والمفاجئات . كل ذلك يجعل من مسرحياته اثراً ادبياً يستسيغه القراء كما يعجب به حاضرو اخراجه على المسرح .

ولطالما صفقت مسارح بيروت في الربع الاول من القرن العشرين لابطال الخوري حنا : يمثلون – على حد تعبير الدكتور فؤاد افرام البستاني – «مختلف المشاعر الانسانية في النواجع . والفواجع الشعبية : يستثيرون العواطف . وينقلون الجمهور . في فترة من الزمن : الى مجال البطولة السامية حتى التفاني والتضحية والاستشهاد . فمن النعمان . الى شهداء نجران : الى البطريرك حجولا . الى امير الارز . الى البطل المجهول الى يوسف بك كرم وسواها . سلسلة من المسرحيات تجعل لصاحبها المركز المرموق في تاريخ مسرحنا الناشئ . اذ يبدو على اضطلاع بفنه : وتصرف بلغته : فلا يفوته حس التاريخ ولا تصوير البيئة : ولا خصب الخيال ولا فيض الشعور : كما لا تفوته لهجة الخطابة . ولا سرعة الحوار : ولا اصول الصناعة المسرحية» .

وهنا لا بد من ان نطرح على انفسنا السؤال التالي : إلى اي مدرسة مسرحية ينتمي الخوري حنا طنوس وباي مذهب من المذاهب المسرحية تأثر في نتاجه المسرحي ؟

لا يمكن الجواب عن هذا السؤال قبل ان نعطي لمحة عن نشأة الادب المسرحي وتاريخه وتطور مقاييسه واصوله ومفاهيمه : منذ ولادة الاول اليونان الى ايامنا هذه .

تاريخ الادب التمثيلي وتطوره

من الثابت الاكيد ان اليونان هم رواد الادب التمثيلي الاول ، هم الذين وضعوا اصوله وفنونه وسنوا قواعده وقوانينه . وقد نشأ في عبادة اله الخمر والكرم عند اليونان « ديونيزوس » وكان التمثيل عندهم ، وهو يجمع بين الرقص والموسيقى والحوار والغناء ، متعة لكافة الخواص الانسانية . واول مسرحية مأساة كانت لابي المسرح « تسبيس » Thespis[1] قدمت في آتينا عام ٥٣٤ قبل المسيح ثم تتابع بعده « اشيل »[2] الذي ألف تسعين مأساة لم يصلنا منها الا سبع . و « سوفوكل » الذي الف مابة وعشرين مأساة لم يعثر منها الا على سبع ؛ و « اوربيد »[3] الذي الف ثماني وسبعين مأساة لم يبق منها الا ثماني عشرة .

واتت القرون الوسطى ، فاهملت التراث اليوناني والروماني القديم ، بعد انتشار المسيحية في العالم الغربي . الا انها عادت بالمسرح الى كنف الدين تستقي مواضيعه ، من حياة السيد المسيح ومأساة صلبه ، ومن حياة القديسين .

وكان لحركة البعث ، التي تبتدئ به النهضة الاوروبية الحديثة ، الفضل الكبير على الادب التمثيلي فاعادت الانسانية الى الثقافة والاداب اليونانية والرومانية القديمة ، تنهل منها مواضيعها وتبعثها من جديد . واذا هذا البعث يتجلى في القرن السابع عشر في المسرح الكلاسيكي الفرنسي ، وفي ما انتجه ادباء المسرح امثال كورناي ، وراسين ومولييار الذين تقيدوا تقيداً شديداً بالاصول التي حددها الفيلسوف اليوناني ارسطو والشاعر الروماني « هوراس » .

فالفن التمثيلي ، في مفهوم ارسطو وهوراس ، هو على حد تعبير الدكتور احمد مندور ، محاكاة للحياة . والمسرحية مأساة كانت ام ملهاة يجب الا تتناول حياة الشخصيات ولا فترات طويلة منها بل ازمة من الازمات او حادثاً من الاحداث التي تعرض للشخصيات في فترة محدودة من الزمن . « فما تكاد الستارة ترفع عن المسرحية الكلاسيكية الا والازمة قد تجمعت عناصرها وتحددت اوضاعها ثم تسير الازمة باحداثها حتى تبلغ قمتها ويشتد اشتباكها ثم تأخذ في الانفراج والحل حتى تنتهي المسرحية »[4]

---

١) عاش في القرن السادس قبل الميلاد .

٢) Eschyle عاش من عام ٥٢٥ الى عام ٤٥٦ ق. م.

٣) Euripide (٤٨٠–٤٠٦) ق. م.

٤) التعبير للدكتور احمد مندور في كتابه « المسرح ».

لذلك رأى ارسطو ان المسرحية يجب ان تتوافر فيها وحدتان . وحدة الموضوع ووحدة الزمن الذي حدده بنهار . ثم اضاف على الوحدتين المذكورتين الفرنسيون توماس سيبيلي Sibilet[1] ورونسار Ronsard[2] ودوبلي Du Bellay[3] وخصوصاً الايطالي سكاليجر Scaliger[4] وحدة ثالثة هي وحدة المكان . فجعلوا من هذه الوحدات الثلاث قانوناً للمسرحيات قدسه الكلاسيكيون الفرنسيون وتقيدوا به . فاذا الزمان يحدد باربع وعشرين ساعة والمكان بمدينة واحدة .

وكل مسرحية لا تتوافر فيها الوحدات الثلاث كانت عرضة للنقد حتى ان الشاعر الفرنسي كورناي اتهم بعدم تقيده بالوحدات الثلاث في مسرحية « السيد »[5] واحتدم الجدل حول صحة هذه التهمة الى درجة حملت الاكاديمية الفرنسية عام ١٦٣٦ على تأليف لجنة برئاسة الاديب « شابلان » لدراسة هذه القضية وبيان رأيها في الموضوع . فكان تقرير اللجنة ان « كورناي » خرج في مسرحيته على قانون الوحدات .

ورأى الكلاسيكيون الفرنسيون ان ارسطو قد قسم الادب التمثيلي الى فنين منفصلين : فن المأساة وفن الملهاة . فجعلوا من هذا التمييز بين الفنين قاعدة « فصل الانواع » التي تحرم جمع الفنين في مسرحية واحدة . فالمأساة رصينة تستمد موضوعها من حياة الآلهة والابطال . والملهاة فن ضاحك ساخر يستمد موضوعه من حياة الشعب وافراده . ولما كانت المسرحيات « المآسي » تستقي مواضيعها من الاساطير وقصص البطولات التاريخية القديمة : فقد اصبح كتاب المؤرخ اليوناني « بلوتارخ »[6] عن « حياة العظماء » وكتابا المؤرخين « هيرودوت »[7] اليوناني و« تاسيت »[8] الروماني من اهم مناهل المسرح الكلاسيكي . حتى ان الشاعر الفرنسي « راسين » اضطر الى الاعتذار في مقدمة مسرحيته « باجازت » Bajazet[9] لانه استمد موضوع مسرحيته من التاريخ التركي المعاصر .

---

١) (١٥١٢–١٥٨٩) .
٢) (١٥٢٤–١٥٨٥) .
٣) (١٥٢٢–١٥٦٠) .
٤) جول سزار سكاليجر (١٤٨٤–١٥٥٨) عالم وطبيب ايطالي .
٥) عاش كورناي من ١٦٠٦ الى ١٦٨٤ والف مسرحية « السيد » عام ١٦٣٦ .
٦) (٤٧–١٢٠)
٧) (٤٨٤–٤٢٥) .
٨) (٥٥–١١٩) .
٩) (١٦٣٩–١٦٩٩) الف مسرحيته « باجازت » عام ١٦٧٢ .

الملهاة الدامعة

واطل القرن الثامن عشر بفلاسفته الذين اعادوا النظر في كل ما هو موروث من اصول وقواعد ومقاييس فكرية وادبية . يناقشونها ويحللونها . ولما وضعوا المسرح واصوله الكلاسيكية وقوانينه على محك الدرس والنقد . تبين لهم ما في حصر المسرحيات بالمآسي والملاهي فقط من خطأ . ذ ان المآسي الفاجعة والملاهي الصاخبة تعكس حالات شاذة متطرفة . فحياة التي يجب ان تكون المسرحية محاكاة لها : ليست عابسة دامعة كالمأساة . ولا هازلة زاهية . كالملهاة : انما هي مزيج من الاثنين .

لذلك قال فلاسفة القرن الثامن عشر بوجوب خلق نوع جديد من المسرحيات يتوسط النقيضين ويجمع بين المأساة والملهاة . سموه « الملهاة الدامعة » Tragi-Comédie التي كانت الخطوة الاولى في طريق الخروج على المسرح الكلاسيكي : وجسراً بينه وبين الرومانطيقية .

الرومانطيقية

فالرومانطيقية كانت ثورة جامحة على الكلاسيكية . ومعولاً دك اسسها واصولها وقواعدها ومفاهيمها . ولعل اعنف من حمل على اصول المسرح الكلاسيكي الشاعران الفرنسيان « فكتور . هوغو »[1] في مقدمة مسرحيته « كرمويل » عام ١٨٢٧ ثم « الفرد دي فيني » Alfred De Vigny عام ١٨٢٩ اذ هاجما بضراوة قانون « الوحدات الثلاث » ومبدأ « فصل الانواع » . ولكن الرومانطيقية مع تحريرها الادب التمثيلي من تبعية التراث اليوناني والروماني من حيث استقاء المواضيع . ومن قيود الكلاسيكية من حيث قوانين الوحدات الثلاث وفصل الانواع . ظلت محتفظة ببعض الاسس التي تميز بين المأساة والملهاة من حيث الموضوع وجديته واسلوبه ولغته .

وفي اواخر القرن الثامن عشر وفجر القرن العشرين اطل على المسرح عمالقة امثال « هنريك ابسن »[2] النروجي و « برناردشو »[3] الايرلندي اللذين

---

١) ١٨٠٢–١٨٨٥ .

٢) عاش من ١٨٢٨ الى – ١٩٠٦ هو احد زعماء المسرح الحديث . اشهر مسرحياته : بيت الدمية (١٨٧٩) الاشباح (١٨٨٢) عدو الشعب (١٨٨٢) سيدة البحر (١٨٨٨) متى نستيقظ من بين الاموات (١٨٩٩) .

٣) عاش من ١٨٥٦ الى ١٩٥٠ جعل من المسرح منبراً لمهاجمة البورجوازية والرأسمالية . اشهر مسرحياته بيت الارامل (١٨٩٣) تلميذ الشيطان (١٩٠١) في طريق الزواج (١٩٠٧) مهنة مسز وارين (١٨٩٣) لا يمكن ابداً القول (١٨٩٨) كانديدا (١٨٩٧) قيصر وكليوباترا (١٩٠١) .

ستأنف ثورة الرومنطيقية وكملاذ تضرب اسس الكلاسيكية ومفاهيمها القرية تقافية . اذ لم يرد ما يمنع من استقاء مواضيع المآسي من حياة الشعب العادية . فكان هذا الاتجاه الجديد فتح نوع جديد من المسرحيات فيها من المأساة التقليدية جديتها انما تختلف عنها في شعبيتها وموضوعها . فسميت هذه المسرحيات بالمآسي ، الدراما الحديثة » .

ان « هنريك ابسن » عندما يعرض المواضيع الخلقية الاجتماعية والفلسفية النفسانية في مسرحياته ، حيث يعالج في « بيت الدمية » (١٨٧٩) وضع المرأة . وفي « الاشباح » (١٨٨٢) قضية الوراثة . وفي « عدو الشعب » (١٨٨٢) آفة الجبل السياسي . وفي « سيدة البحر » (١٨٨٨) وفي « عندما نستيقظ من بين الأموات » (١٨٩٩) مشاكل هي من صميم الحياة اليومية : خلق بذلك « مسرح افكار » مبسته فيه على حد تعبيره « طرح اسئلة لا ايجاد الاجوبة عليها » .

اما « برنارد شو » فقد غاص في حياة الشعب العادية ينبل منها مواضيع مسرحياته . ففي « البطل والجندي » و « رجل القدر » يهاجم اسطورة البطولة . وفي « لا يمكن ابداً ان تقول » يسخر من علاقات الآباء بابنائهم . وفي « مهنة مسز وارين » يعرض مأساة الدعارة .

فعندما نقرأ او نشاهد مسرحيات « هنريك ابسن » و « برنارد شو » التي اتخذا ابطالاً لها افراداً من عامة الشعب وحتى من اسفل طبقاته الاجتماعية . كالعاهرة « مسز وارين » ، بينما ابطال المآسي الكلاسيكية كانوا الهة وانصاف الهة او ملوكاً او امراء او نبلاء ، ندرك التطور الكبير الذي طرأ على مفاهيم الادب التمثيلي واصوله عبر « ارسطو » و « هوراس » و « سكاليجر » و « هوغو » و « فيني » حتى « ابسن » و « شو » .

هذا الاستطراد لعرض تطور الادب التمثيلي ، منذ عهد رواده الاول اليونان الى عهد عمالقيه المحدثين « ابسن » و « شو » ، مروراً بالكلاسيكية ثم بـ « الملهاة الدامعة » ثم بالرومانطيقية ، ما دفعنا اليه مجرد حبنا في بحثه . وقد عالجه غير واحد من دارسي الادب التمثيلي ، بل رغبتنا في تحديد وضع الخوري حنا طنوس ضمن اطار المسرح العالمي ومفاهيمه المتعددة . عبر مدارسه المتفاعلة المتكاملة خلال العصور والاجيال .

وعليه فهل الخوري حنا طنوس كان في نتاجه المسرحي من اتباع المدرسة الكلاسيكية او المدرسة الرومانطيقية او المدرسة العصرية ؟

مدرسة الخوري حنا طنوس

ان مسرح الخوري حنا طنوس . والتبسط في تحليله وتفصيله . يحتاج الى درس خاص طويل مستقل ، يتضمن عرض كافة مسرحياته ونقدها وتشريحها وتبيان ميزاتها وخصائصها ، محاسنها ومساوئها .. وهذا ما لا مجال له في هذه الدراسة الشاملة . فجل ما يمكننا ان نقوله في هذا الصدد ان مسرح الخوري حنا طنوس هو مزيج رائع للمدارس الثلاث .

فيه من المدرسة الكلاسيكية

أ) إستقاء المواضيع من التاريخ

١) **العهد القديم** : داود وشاول ، يهوديت ، طوبيا البار ، يوسف الحسن ، ابشالوم ، دانيال النبي . قايين وهابيل .

٢) **تاريخ القديسين** : مار لويس ، يوحنا فم الذهب ، ليلى العفيفة .

٣) **التاريخ العام** : القرد الكبير ، قسطنطين الملك ، رجل الغابة السوداء . الاعمى البصير ، صبي الدهاليز . البطل الاخرس .

٤) **التاريخ العربي** : شهداء نجران ، داحس وغبراء ، النعمان ، الحارث ، المهلهل ، العمران .

٥) **التاريخ اللبناني** : البطريرك حجولا ، البطل المجهول ، امير الارز ، يوسف بك كرم ، امير لبنان وكسرى ، عبد المنعم امير جبيل ، تخليص الوطن .

ب) جذبة الموضوع ، تألق الكلمات ، بلاغة التعبير .

فيه من المدرسة الرومانطيقية

١) عدم تقيده تقيداً تاما بقانون الوحدات الثلاث .

٢) عدم احترامه لفصل الانواع ففي بعض مسرحياته كان يجمع الفاجع الباكي الى الضاحك الزاهي ، ولكن بشكل يسوده التناغم والتناسق والتآلف .

فيه من المدرسة العصرية

١) استقاء مواضيع من التاريخ الحديث . مثل يوسف بك كرم ، العقل اللبناني والدهاء العثماني ،

٢) عرض ومعالجة مواضيع فلسفية اجتماعية استقاها من حاضرنا الراهن في مسرحيته : جريمة وتكفير وغفران ،.

وقبل ان ننتقل الى ايجاز بعض من مسرحياته . لا بد لنا من الاشارة الى اننا في محاولتنا تقييم عبقرية الخوري حنا طنوس : نعترف بان نتاجه الادبي . على احترامنا له ، هو دون نبوغه ومستوى مواهبه ومقدرته وطاقته. فالخوري حنا طنوس ــ الذي زخرت شخصيته بمواهب عديدة ؛ متنوعة . وثروات عقلية لا حد لها ولا حصر . وعافية فكرية يحسده على بعضها غير واحد . من محترفي الادب . كيف لا وقد كان شاعراً وخطيباً . ورياضياً ولاهوتياً . واديباً . ومؤرخاً وذا ثقافة عميقة وشاملة ــ كان بامكانه ان يعطي اكثر مما اعطى واجود . لو توافرت فيه وله العوامل والشروط التالية :

١) لو كان علمانياً . لكانت اتسعت امامه آفاق ارحب واخصب للعطاء الفكري ومعالجة مواضيع صدّه عن معالجتها ثوبه الكهنوتي .

٢) لو كان راهباً . بدلاً من خوري ، لكان توافر له استقرار حياتي يسرّ له المناخ النفساني والادبي اللازم للعطاء الفكري فانصرف الى الانتاج الادبي بطمأنينة وراحة بال . بدلاً من السعي الدائم الى العمل لتحصيل كفافه اليومي وكفاف من شاء الدهر ان يكونوا على عاتقه .

٣) لو كان اقل اهمالاً وكسلاً ، لكان اعاد النظر في انتاجه : وهذب فيه وشذب ونقح ما انتجه بسرعة وعفوية وارتجال .

٤) لو كان اقل مواهب لكان اعتمد الروية والاناة في التأليف . فذكاؤه ان افاده كثيراً ، فقد جنى عليه ايضاً كثيراً .

الخاتمة

لا شك في ان هذه الدراسة التي لا تتضمّن الا لمحات من حياة الخوري حنا طنوس ؛ وومضات من نبوغه ، واشارات عابرات الى مواهبه وخصائصه : تتخللها من نكاته ونوادره مقتطفات ؛ ومن ادبه المسرحي مختارات ، هي اعجز من ان تفي حق اديبنا الكبير علينا ، وتقيّم فضله على ادبنا العربي عامة ؛ وعلى الادب المسرحي خاصة .

فقلة المطبوع من آثاره جعلته في عداد المغمورين من ادبائنا الافذاذ ،

وحرمت دارسي الادب والباحثين في آثار اعلامه . معيناً غزيراً للنقد والبحث والتحليل فالتقييم .

فالذي وهب المسرح العربي ما لا يقل عن سبع وثلاثين مسرحية . بها صقل اذواقاً ؛ وأيقظ ضمائر ؛ واغنى عقولاً . وهدى نفوساً ؛ وهذب ميولاً وعلم فضائل ومروءات وبطولات . طوال النصف الاول من هذا القرن ؛ من حقه علينا — قدرًا لفضل ؛ وعرفاناً لجميل ؛ وزهوًا بادب به نفخر ونعتز — ان نبعثه حياً في آثاره . ونعمل على طبعها ونشرها ؛ قبل ان يأتي العث على البقية الباقية منها . وندخل ادبه المسرحي في المناهج التعليمية الرسمية .

فاذا كان مارون النقاش ابا الفن التمثيلي العربي ورائده الاول ؛ فالخوري حنا طنوس ؛ ان لم يكن ابا الادب المسرحي العربي ؛ فانه دون شك احد ابرز رواده الاول ؛ واشرقهم وجهاً؛ واصوفهم وافرسهم في ميدانه؛ وارصفهم مداميك في قبابه العاليات .

وان لم تدر عليه ثماره الادبية ؛ طوال حياته ؛ الا التصفيق ؛ على حد ما صرح به قبيل وفاته ، لانه كان زاهدًا بالدنيا وخيراتها الترابية ولم يعرف او يشأ ان يثمر مواهبه ؛ ويستدر طاقته على العطاء والانتاج ؛ وعافيته العقلية ؛ ما يسر له العيش بطرس وفلس[1] افليس من الواجب ان يعيش بعد مماته بعقل وروح في الكتب التي الف والادب الذي انتج ؟

وان كان لنا من امنية ؛ بها نختم هذه الدراسة ؛ ففي ان نرى ذوي همة ؛ من القيمين على شؤون التربية والتعليم في لبنان ؛ ينفضون الغبار عن شخصية اديبنا المنسي ، ليطل ؛ على هياكل الادب العربي ؛ بوجهه المشرق ؛ ويتصدر في مناهجنا التربوية ؛ مركزه بين رسل الكلمة ؛ وكهان الحرف ؛ وسادة القلم .

فان لم يقدر له ان يعيش ؛ حياً ؛ من ادبه ؛ فلا اقل من ان يحيا ؛ ميتاً ، بأدبه .

---

١) كان قد اطلق على نفسه لقب «حنا لا طرس ولا فلس» راجع صفحة ٦٧٦ .

موجز لبعض مسرحياته ومقتطفات منها

البطريرك حجولا

تدور هذه المسرحية حول استشهاد البطريرك جبرائيل حجولا الذي قتله المماليك في معبد سيدة ايليج بميفوق على عهد الاشرف سلطان مصر حوالى عام ١٣٦٧ ؛ وحول تنافس الاخوين غزال واسد القيسيين العاقوريين على المقدمية ؛ وفوز غزال مما حمل اخاه اسداً على الكيد له والتآمر عليه وعلى البطريرك لمساندته اياه .

*

امير لبنان وكسرى

تجري حوادث هذه المسرحية في اوائل القرن السابع عشر ؛ سنة افتتح كسرى انو شروان ؛ ملك الفرس ؛ اورشليم ، واستولى على الصليب المقدس . وكان الملك « هرقل » لما بلغه الخبر ، قد حشد جيوشه وزحف على بلاد الفرس ؛ كما ان عدداً من الامراء اللبنانيين استفزتهم الحمية فلحقوا بجيوش هرقل مع اولادهم وفرسانهم . لكنها غدر بهم رجل ماكر فوقعوا اسرى في يدي كسرى الذي اذاقهم ضروباً من العذاب والاهانات ليجحدوا دينهم فلم يفعلوا .

وكان ؛ بين الذين اسرهم كسرى ؛ كبير امراء لبنان الامير سمعان والامراء شديد والياس وعساف الذين بقوا في قبضة كسرى الى اليوم الذي استرجع هرقل الصليب وخلصهم من الاسر .

الاعمى البصير

تجري حوادثها حول مقتل كارلوس الاول ملك انكلترا واستيلاء « كرمويل » على مقاليد الحكم .

*

الفرد الكبير .

تتناول محاربة الفرد الكبير القراصنة حوالى عام ٨٧٨ وتأسيسه مملكة انكلترا وجهاده في سبيل المسيحية .

رجال الغابة السوداء

كان لملك وزير اسمه هرمان . الملك عادل لكنه مخدوع . ووزيره منافق خداع يشي بمن في القصر حتى يبعدهم عن البلاط . فحدث ان وشى على رجل شريف نبيل اسمه جيرالد . ولما حكم عليه بالموت : هرب واختبأ في « الغابة السوداء » خمس عشرة سنة : تاركاً ولداً له اسمه لاوون شب خلال هذه السنين واصبح قائداً لجيوش الملك . واخيراً تدور على الباغي هرمان الدوائر : وينتصر الحق : فيمجد الجميع حكمة الله وينتفون حول الملك الذي بصلاحه ينقذ المخلصين . وبعدله يمحق المنافقين : وبرحمته يعفو عن التائبين . -

النعمان الخامس

غضب كسرى على النعمان فلجأ الى هانئ بن مسعود وقبيلة بني شيبان : . ونتج عن ذلك حرب « ذي قار » اول معركة انتصر فيها العرب طلاب الحرية على المستعمرين الفرس . ففي المسرحية تمجيد لمآثر العرب من وفاء واباء : من حرية وشمم : ودعوة صريحة الى التخلص من المستعمر الذي كان جاثماً على صدر الامة العربية .

مقتطف من مسرحية النعمان الخامس

الفصل الاول

من المشهد الاول

حنظلة احد اشراف بني بكر يستحث البكريين كي يجيروا النعمان ملك الحيرة : بعد ان هرب من كسرى ابرويز ملك العجم ولم يجد مأوى له بين بعض قبائل العرب

« حنظلة – شريك – عمرو – وهم من اشراف بني بكر »

حنظلة : أذمة غير ذمة العرب؟ أشيمة غير شيمة الآباء؟ أدين غير دين الوفاء؟ ايترك الله امة العرب مفتونة بالباطل مغبونة عن الحق ، لا ساقي ولا واقي : لا هادي ولا حادي؟ ملك العرب يتوعده ملك العجم ، فتخذله امته : وتتقاعد عنه عشيرته . يطوف في القبائل ولا يقبله منهم احد . يستنجد العشائر ولا يجد من ينجد . يستجير ببكر بن وائل وليس من يجير . فتلعب به صعاليك

العرب وتتخطفه ذئابها. والذي بيده روح حنظلة لاسوينها في الارض حتى تستقيم القناة الملتوية. لاشدخنّ يافوخ الشقاق. واشرمنّ جبهة النفاق، واجدعن انف الفتنة. واتفلنّ في وجه الشيطان. هذه اجداث اجدادكم اتنكرونها.

عمرو : ستتبها الديم وعدتها النعم ورعتها النعم.

حنظلة : كانوا كماة السيف حماة الضيف اباة الخيف. كانوا رجالا يحمون حوضهم أن يتهدم، ويمنعون جارهم أن يضام. منهم جساس بن مره حامي الذمار قتل ابن عمه وسيد قومه كليباً بناب جار. واسعر لدفع العار فتنة ابادت عشيرتين وهو القائل:

انمـــا جاري لعمري فاعلموا ادنى عيـــالي
وأرى للجار حقاً كيميني من شمالي
ان للجـــار علينا دفع ضيم بالعوالي
فأقلي اللوم مهلاً دون عرض الجار مالي
سأؤدي حق جاري ويدي رهن فعالي
او ارى الموت فيبقى لؤمه عند رجالي

المشهد السابع

الاعشى: شاعر اعمى يدخل على اشراف البكريين يستحثهم على اجارة النعمان.

الاعشى : (وهو داخل) وسعوا المجال للموت. افسحوا المكان للموت.

الجميع : الموت؟ (حركة خوف وارتجاف في الجمهور)

شريك : وأي موت فانا لا نرى جنازة ولا ننظر نعشاً ولا نسمع نوح النوادب. فأين الميت؟

الاعشى : (يسحب علم المناذرة) هوذا الميت علم آل محرق بني المنذر. بيرق العرب. راية المروءة والوفاء. مات الوفاء فجئت ادفنـــه بين اصحاب المروءة والوفاء. احفر الحفرة عميقة يا حفار. وذر عليهـــا التراب كثيفا، ومكن الحصى والجنادل، واكتب على القبر: هذا لحد الوفاء.

شريك : آه يا شحاذ

الاعشى : صه. فما احسن الايام في عهد مالك وعوف ومسعود وقيس وجحدرا
فيا لزمان كان نسل جدودنا يحلق في جو الفضاء تكـــبرا

يمر على احيائهم متنسماً نسيماً ذكياً بالوفاء معطرا
فما الشمس في فلك النهار بضوئها وما البدر يبدو في الليالي منورا
وما الروض في فصل الربيع بزهره اذا غرد الشحرور والورد ازهرا
بأبهى وانقى من خصال جدودنا واحسن وقعاً في العيون وانضرا
اذا حل جار في فناء ديارهم تمنع عنه جيش كسرى وقيصرا
فان لم تجيروا جاركم بدمائكم فكونوا عبيداً للهوان واحقرا
فهذا لوائي يا لقومي ممزقاً وقد كان قدماً في الحروب مظفرا
وهذا لواء العز ذل الا احفروا حفيراً عميقاً للواء فيقبرا
الا وادفنوا في الترب مجد جدودكم فيبقى ذليلاً في التراب معفرا

شريك : كفى كفى نصر الله النعمان ؟
الجمهور : نصرالله النعمان اين النعمان ؟
النعمان : جاركم بينكم .
الجمهور : رحبت بك الدار يا خير جار
النعمان : يا بكر وائل ، نهجتم منهج اجدادكم . فاصبحتم زبدة الامم ، وصفوة العرب . انتم كرام وآباؤكم كرام .

هم القوم ، ان قالوا اصابوا ، وان دعوا اجابوا . وان اعطوا اطابوا واجزلوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
فأولهم فوق المجرة قاعد وآخرهم بين الصناديد اول

الفصل الثاني

المشهد الثاني

ثنا اجار هاني' بن مسعود النعمان ، ابى عدو النعمان الا ان يرمي فتنة بين قيس بن هاني' وحسان بن النعمان ليستدل على مخبأ والده — ويكون متنكراً بزي عراف .

العراف : (يضع رملاً ويخط فيه خطوطاً ويتابع ذلك كل الفصل) الخط الاوسط الخلود ، طالعه مسعود على المولود ، صاحب معالي وجود .
حسان : (يقول وهو داخل الى قيس الذي برفقته) هذا عراف
قيس : بل هذا طارق بالحصى .
العراف : (كأنه لم يسمعها) نصف رحمه ، تحت وحمه ، بالف نسمه والف نعمه ، دون نقمه . والف رحمه دون غمه .
حسان : من الرجل ؟

العراف : سطيح بن جنديح . يقول الصحيح . ويعرف المليح والقبيح.

قيس : اتعرف الغيب ؟

العراف : استطلع النجوم ، واستجلي الغيوم . وابدد الهموم عن المغموم.

حسان : اقرأ طالعي .

العراف : حسان بن النعمان . فارس الفرسان . صريع الزمان . بهجة الانس والجان . نائم يقظان كالسرحان .

قيس : وأنا ؟

العراف : قيس بن هاني ، داني بن مسعود . سعد السعود . ابو الوفاء والجود . كريم الآباء والجدود ، واف بالعهود ، منجز للوعود.

حسان : ما يحصل لنا في الزمان الآتي ؟

العراف : (يطرق بالحصى ويخط خطوطاً بالرمل) احدكما يملك على العرب ، وينال الارب ، ويعيش بالطرب .

حسان : والآخر .

العراف : (يتطلع بالاثنين دون ان يتكلم) .

حسان : (بحدة) والآخر ؟

العراف : يعيش بلا ام ولا أب .

حسان : أحق ما تقول ؟

العراف : نعم . والشفق ، والغسق . والقمر اذا اتسق ، ان ما اخبرتكم به لحق .

قيس : أصحيح ما تقول يا سطيح ؟

العراف : اي ، ورب السماء والارض ، وما بينهما من رفع وخفض ، ان ما أنبأتكم به صدق بحت وحق محض .

حسان : ومن ، ويحك ، يعيش بلا ام ولا اب ؟

العراف : من بالمنافرة يغلب ؟

قيس : ومن يملك على جميع العرب ؟

العراف : من اذا تفاخرتما غلب .

حسان : لسنا بمتفاخرين ، لا ام لك .

العراف : اذن تعيشا طول الحياة ذليلين .

قيس : بلى ، نتفاخر ولا نرضى الذل ، قد علمت العرب انا بناة بيتها الذي لا يزول ، ومغرس عزها الذي لا يحول ، لانـا ادركهم للثأر وامنعهم للجار .

اذا قست ابيات الرجال ببيتنا وجدت لنا فضلاً على من يفاخر
تعالوا فعدوا تعلم الناس اننا لنا الفضل فيا اورثته الاكابر

حسان : لقد علمت العرب انا فرع دعامتها . وقادة زحفها . لانا ورثنا الملك كابراً عن كابر .

الـنا اعز الناس قوماً واسرة واضربهم للكبش بين القبائل
الـنا منزل الناس في كل بلدة اذا نزلت بالناس احدى النوازل

قيس : اروني كسعود وقيس وهانئ وعمرو وعبدالله ذي الباع والندى
فكانوا على افناء بكر بن وائل ربيعاً اذا ما سال سائلهم جدى
وسرت على آثارهم غير تارك وصيتهم حتى انتهيت الى المدى

حسان : لنا العزة القعساء والحسب الذي بناه لنا لخم في التقديم رجاذا
فهيهات قد اعيا القرون التي مضت مآثر لخم مجدها وفعاذا
وهل احد ان مد يوماً بكفه الى الشمس في مجرى النجوم يناذا

قيس : منا الذي سد الثنية غدوة في يوم قضة يوم تحلاق اللمم
منا الذي اسر المهلهل خانعاً منا الذي غلب الاعارب والعجم

حسان : يا من جهلت مقام آل محرق نحن الذين تحكموا بين الامم
كل الذين ذكرتهم متفاخراً كانوا لاجدادي عبيداً او حشم

انا اكرم منك حسباً ، واثبت منك نسباً ، واطول منك قصباً .

قيس : انا خير منك ليلاً ونهاراً .

العراف : (في سره) الآن حمي الوطيس ، وذهب التدليس ، ودخل لسان ابليس .

حسان : انا انحر منك للقاح ، وخير منك في الصباح .

قيس : انا خير منك اثراً ، واحد منك بصراً ، واعز منك نفراً .

حسان : انا انفذ منك لساناً ، وامضى منك سناناً .

قيس : انا اقتل منك للكماة ، وافك منك للعناة .

حسان : ابي اعظم العرب غناء ، واحمدهم لقاء .

قيس : ابي اعظم العرب بأساً ، واشدهم مراساً .

حسان : انا ابن اعظم ملوك العرب ، واكرم ساداتها .

قيس : انا ابن افرس الفرسان عند الطعان .

حسان : اني انتسب الى عشرين ملكاً ملكوا رقاب بني عدنان وقحطان.

قيس : اني انتسب الى عشرين فارساً كلهم اسد شرى ورجال وغى .

حسان : اني صاحب الخورنق والسدير وذي الشرفات .

قيس : اني ارفع مناراً . واعمر داراً . واغزر مالاً . واقدر رجالا .

قيس : اني صاحب المشيب والاسمر والمشرفيات .

قيس : اني اعز جاراً ؛ وامنع منك ذماراً .

حسان : انا ابن النعمان بن المنذر وحسب .

قيس : انا ابن هاني بن مسعود وكفى .

حسان : اني سيد ابيك . والسيد افضل من المولى .

قيس : اني مجير ابيك . والمجير افضل من المستجير .

حسان : تمنّ علينا بجوار ابيك ؟ فبئس الاجارة تشوبها المنة .

قيس : (الى العراف) تحاكمنا اليك ايها العراف فاحكم بيننا .

العراف : والقمر الباهر ؛ والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر . وما بالجو من طائر ؛ وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر . لقد سبق قيس حساناً الى المفاخر .

حسان : لا والنعمان لا ارضى بحكم العراف . فمن انتكاس الزمان اقمناه حكماً .

قيس : بأي شيء ترضى ؟

حسان : بالمبارزة فالغالب يكون الافخر .

قيس : لا ابارز جاري فاني من قوم لا يلحقون بالجار ضيماً .

حسان : ولقد ملأت وجهي فضيحة . انكم والله لقوم ؛ لا يعز لكم جار ولا تنبح الكلاب في منزلكم الا على جاركم .

قيس : (يتهدد) تشتمني وانت في جواري .

حسان : بل اصفعك يا صفعان (يصفعه على وجهه) .

قيس : (يرفع يده ليضرب ثم يرجعها ويقول) جاري . جاري لو لم يكن جاري .

حسان : (وهو خارج) سبق السيف العذل .

يوسف بك كرم

تدور هذه المسرحية حول جهاد يوسف بك كرم ضد المتصرف داود باشا تخفيفاً للضرائب التي اثقل بها كاهل اللبنانيين .

مقتطف من رواية يوسف بك كرم

المشهد الاول من الفصل الاول

يوسف كرم – محمد داود باشا

كرم : قلت لك : لو انطبقت هذه السماء على هذه الارض لا يرضى ابن كرم بما يمس كرامة لبنان .

المعتمد : اترفض صداقة الحاكم الاكبر ؟

كرم : انما ارفض ظلماً يلحق بوطني .

المعتمد : ان اذعنت لمشيئة المتصرف الشريفة ، شاطرته الاحكام . فتصبح حاكماً على جميع النصارى من نهر الكلب الى جبل الضنية .

كرم : لا اقبل ملك الدنيا ، ولبنان مظلوم .

المعتمد : وما ذنب المتصرف والدول العظام سنت نظام الجبل الجديد ؟

كرم : لست احتج على النظام الجديد ، وان كان فيه مدعاة للاحتجاج ، انما على الاقلام الستة احتجاجي . اما كفاهم الجرح حتى ذروا عليه الملح ؟ اما كفاهم ان نزعوا استقلالنا القديم ، وخفضوا رأس لبنان الشامخ ، وخلعوا عنه حلة مجده الباذخ ، حتى طرحوا عليه قميص الفقر والعار ، وجلببوه بجلباب المسكنة والشنار . وطالما رفل ببرد العز والفخار ، ورتع بمروج الخصب والازدهار .

المعتمد : ان المتصرف يرغب في اعلاء شأن الجبل ورفع مناره . وهو يسعى جهده بما يؤول الى الاصلاح ، ويزيد البلاد ثروة وحياة .

كرم : ان كان ذلك صحيحاً فماله يضرب ضرائب تنوء تحتها ظهور الناس . ان كان ذلك حقاً فما باله لا يرجع عن عناده . ولا يحيد عن تشبثه بالاقلام الستة ؟ فقد افهمته انها سم زعاف قتال تجمد حركة الدم في عروق الزراعة وتلاشي موارد الارتزاق من البلاد وتخنق حياة الثروة في قلب لبنان .

المعتمد : الا تعرف ان داود مستبد برأيه . فهو لا يثني عن مرامه ولا يتحول عن قصده ولو كان دونه خرق القتاد والسيف الحداد .

كرم : وهو لا يعلم ان كرماً مستبد بعزمه متشبث بحزمه ، وهو لا

ينكص على عقبيه ولو كان تحت قدميه اعماق الهاوية ونيران حامية ؟

المعتمد : بماذا اجيب مولاي ؟

كرم : أمض وقل للمتصرف : لا يخلع كرم السلاح حتى يخلع الليل النهار او يرفع داود الاقلام عن عاتق الانام. وان بقي مصرًا على عناده فليتأهب لملاقاة الابطال : وتكبد الاهوال. بحرب تشيب ذوائب الاطفال .

المعتمد : تربص للامر يا كرم : وترو بالعواقب . فاني لك من الاصدقاء المخلصين ، والاولياء الناصحين . فلا طاقة لك قبل المتصرف . فان جيوشاً تنصره وانت لا ناصر لك الا بعض الرجال .

كرم : الرب يعضدني . فلا ارهب ربوات الشعوب . اني عن الحق ادافع : وللمظلوم انتصر . وما خذل الله المنتصرين للمظلومين. فانا واثق بالله ورجالي واللبنانيين .

المعتمد : ثق بالله ورجالك ما استطعت: لكن على اللبنانيين لا تعتمد. فهم احزاب متشعبون بكلمتهم : متقلبون برأيهم : متزعزعون بعزمهم . وحياتك : يعز علي أن اراك ، وانت وحيد البلاد وفخر العباد : هدفاً لسهام اصحاب الاغراض وذوي الغايات.

كرم : لا سبيل لاصحاب الاغراض ان تستبدني ؛ ولا طاقة لذوي الغايات ان تستخدمني . فما انا الا رجل رأى المظالم تغشى بني وطنه فوقف في وجه الظالمين وهو يصيح : ردوا المظالم عنا والا ...

المعتمد : ان لم تذعن يصبح مالك وحياتك وشرفك في خطر .

كرم : مالي ، وحياتي : غبطتي وهنائي ، عزي وشرفي ، فدى عنك يا لبنان . ان اذل وتعز انت ، وان اشقى انا وتسعد انت ، ان اموت انا وتحيا انت : هذا كل مناي .

المعتمد : افتحب مقابلة المتصرف فلعل بالمقابلة يزول سوء التفاهم .

كرم : ارضى بمقابلته شرط الا تمس كرامتي بحضرته .

المعتمد : لا يمس احد كرامتك يا اكرم الناس . فها اني انصرف لافاوض المتصرف بالمقابلة : فلعل الله يلطف بلبنان .

المشهد الثاني

كرم (وحده)

لبنان يا جنة الفردوس لبنان … يا روضة بسناها الكون يزدان
من رأوا انه الفردوس ما غلطوا … كل البدائع فيه وهو بستان
بستان حسن به الانهار جارية … ومآؤه الشهد والحصباء مرجان
فيه الينابيع ما اشهى عذوبتها … فيـــه من الزهر اشكال والوان
نسيمه ينعش المدفون في جدث … تحيا به عند لفظ الروح ابدان
سماؤه في ليالي الصيف صافية … وبدرها حارس في الليل سهران
يرعى النجوم يطوف الليل مرتقباً … شمس النهار كما يشتاق وطنان
ما اجملّ الشمس في لبنان طالعة … فوق الجبال بها الافلاك تزدان
لبنان يا مهجتي لبنان يا وطني … تفديك لبنان ارواح وابدان
حالي ومالي حياتي كلها شرفي … فداك : تفديك اقران وخلان
مااسعدالحظ حظي لو سفكت دمي … حباً بمن حبه في القلب نيران
إما تسود كما قد كنت من قدم … إما اموت فدى والقلب جذلان
لقد دحاك اله العرش مرتفعاً … حتى السحاب فلا يعروك خذلان
ان رام خفضك اقوام فقل نعم … وراء لبنـــان آساد وشبـــان

المشهد السابع

من الفصل الرابع

يوسف كرم يودع لبنان قبل ابعاده عنه

قضى الزمان بهجر الاهل والوطن … وبدد الشمل والاصحاب واحزني
قضيت بالعز عمري واخنا فرحاً … فجاءني الدهر بعد العز بالمحن
وهكذا الدهر لا يبقي على احد … حتى يجرعه من حنظل الاحن
فان بكيت. فلا خوفاً ولا جزعاً … لكن لحزني على الاصحاب والوطن
حزني على وطن فديته بدمي … حزني على بلد بالحب جننني
قربت عنه حياتي كي احرره … وما رضيت ذوي الشحناء والفتن
لقد عشقتك يا لبنان في صغري … فزاد حبك في قلبي مع الزمن
فكنت عندي عزيزاً لا يعادله … اعز ما يقتنى من فاخر الثمن
فلا ازال بنار الحب مستعراً … اني احبك حتى ساعة الوهن
فلست انساك طول العمر يا وطني … ولست اسلو ولو ادرجت في كفني

فان رجعت تعد للارز رفعتـه ... وان امت فاجعلوا لبنان مندفني
وان امت فاجلبوا من غربتي جسدي ... ولو عظاماً تعرت من عرى البدن
وحركوهـ تناديكم بتعقعة ... حيوا بلبنانكم بالسر والعلن
احباب قلبي قضى دهري بفرقتنا ... يا ويح دهر بغدر الناس مفتتن
ان غبت عنكم بجسم مضه اسف ... تبقوا بقلب بمحض الحب مرتهن
الا اذكروني اذا ما شمسكم طلعت ... عند الصباح باعلى قمة القنن
الا اذكروني اذا ما شمسكم افلت ... عند المغيب بمرأى بـاهر حسن
الا اذكروني اذا اسيافكم لمعت ... يوم الوغى فوق هام الصانعي الفتن
قولوا السلام على من عاش منشغفاً ... في حب لبنان طول العمر والزمن
مني السلام على لبنان في المي ... مني السلام على لبنان في كفني

البطل المجهول

خلال الفتوحات العربية . حاول القائد خالد فتح لبنان ، كما فتح سائر البلدان . فلم يتيسر له ذلك . لان اللبنانيين ؛ وعلى رأسهم القائد مالك ابن الغيث . وقفوا في وجهه كالاسود . وحدث بعد ذلك ان مات امير لبنان وكبير المقدمين . فاستعد الامير مالك لخلافته ؛ لكنما المقدمون فضلوا عليه البطريرك . وانتخبوه اميراً اكبر . عندئذ تغلغل الحسد في قلب الامير مالك ابن الغيث من جهة . وتملكته شهوة الحكم من جهة اخرى . فواطأ القائد خالداً على تسليم لبنان لقاء تنصيبه اميراً عليه .

وكان من عادة اللبنانيين ؛ يوم يقدم عليه غاز ؛ او يزحف اليه فاتح ؛ اشعال النار على رؤوس الجبال ، اشارة للخطر الداهم . فيهب اللبنانيون الى السلاح ليصدوا العدو .

وعرف بهذه المؤامرة قسطنطين بن مالك ؛ فصعد نصف الليل الى محرقة اهدن ؛ حيث وجد اباه يقوم تلك الليلة بمهام الرقيب ؛ قصد عدم اشعال النار لدى زحف العدو الى لبنان ؛ فلا يلقى عندئذ اية مقاومة . ويحتدم الجدل بين الوالد وابنه . قسطنطين يريد اشعال النار ومالك يريد ان يمنعه عن ذلك . واخيراً يقتل الابن والده ويشعل النار . وبعد مقتل مالك تسلم قسطنطين قيادة الجيش ؛ لكنه لم ينتصر في القتال . فقام عليه الجنود ؛ واتهموه بالخيانة ؛ وحكم عليه بان يربط على عمود يعلوه تمثال والده الامير مالك ؛ حتى يكون عرضة لاهانات الجميع

وفيها قسطنطين مكبل بالسلاسل على العمود : يكيل لـه الجميع التوبيخ والتأنيب : تصلهم انباء انقلاب العمليات الحربية رأساً على عقب بفضل فارس ملثم مجهول ظهر في ميدان القتال وقاد المعركة والنصر .

وفجأة يقدم اليهم هذا البطل الملثم الذي ما كان الا مالك ابا الغيث عينه . الذي بعد طعنة ابنه له . ضمد جراحه وأسرع الى المعركة يخوضها باستبسال وبطولة . تكفيراً عن ذنبه وتخليصاً للبنان .

ساعتئذ ادرك الجميع فضل قسطنطين وتضحياته المكتومة وبطولته المجهولة .

هي تمثيلية استوحاها الخوري حنا طنوس من مسرحية « في سبيل التاج » الذي الفها الشاعر الفرنسي « فرنسوا كوبيه » عام ١٨٩٥ وهي مأساة رائعة اجمع كبار الادباء والنقدة الفرنسيين امثال « اناتول فرانس » وعضو المجمع العلمي الفرنسي « اميل فاكيه » في كتابه « اراء في التمثيل » و « جول لومتر » في كتابه « خواطر التمثيل » على اعتبارها من خيرة ما انتجه الفرنسيون من عهد راسين وكورناي الى يوم صدورها .

مأساة في سبيل التاج

تدور وقائع في « سبيل التاج » حول الحروب التي وقعت : في القرن الرابع عشر . بين الدولة العثمانية والشعوب البلقانية : عندما اغارت الاولى على الثانية : واستولت عليها ، واستبدت بها : الى ان ثار البلقانيون على الاتراك وطردوهم . وظلوا يحاربونهم عدة اعوام تارة يغلبون وطوراً ينتصرون. عـلى ان الاتراك لم يستطيعوا اجتياز حدود البلقان فلجأوا الى الخدعة والدسيسة .

ذلك ان البلقانيين بعد موت ملكهم « ميلوش » انقسموا فريقين حول من سيخلفه : فريق يؤيد الاسقف « اتين » وفريق يؤيد القائد الامير « برنكومير » . واخيراً قر الرأي على تتويج الاسقف « اتين » ملكاً . اما الامير « برانكومير » فالوطن احوج اليه قائداً منه اليه ملكاً .

ويتغلغل الحقد في قلب « برانكومير » تغذيه وتذكيه زوجته « بازيليد » التي كانت على اتصال بجاسوس تركي متنكر تحت اسم الموسيقار « بانكو » ،

حتى حملت زوجها على الاستسلام لرغبتها ، والاتفاق مع الاتراك بواسطة الجاسوس « بانكو» على تسليم البلاد لهم : انتقاماً من الشعب الذي فضل عليه الاسقف « اتين » وطمعاً بالعرش ارضاء لزوجته .

ولكنها ولده قسطنطين درى بهذه المؤامرة . وفي الليلة المحددة لتنفيذها . وفيما كان جيش العدو يزحف على البلقان . حاول قسطنطين اقناع والده بالرجوع عن غيه . فلم يفلح . فلجأ كلا الاثنين الى القوة واستعمال السلاح . مما ادى الى سقوط القائد « برانكومير » مضرجاً بدمه . اثر طعنة سيف من ولده قسطنطين . فلم يدر بذلك احد ، واعتبره البلقانيون بطلاً قضى شهيد الواجب . وخلفه في قيادة الجيش قسطنطين فراح يشن على العدو الغارة تلو الغارة بدلا من الاعتصام في جباله . مما ادى الى وقوع كثير من الضحايا حمل الجيش ، بايعاز من « بازيليد » ارملة « برانكومير » : على التمرد على قائده واتهامه بالخيانة العظمى . ولما ابى ان يبرر نفسه لدى محاكمته او يتفوه بكلمة : حكم عليه بان يشد بأغلال الى قاعدة تمثال والده الشهيد « برانكومير » : عرضة لسخرية الشعب وهزئه واذلاله . الى ان يموت . واذا بـ « ميلتزا » وهي فتاة نورية كان قسطنطين قد خلصها في احدى المعارك من يدي فارس تركي . تناجئ الجماهير مستلة خنجرها وتطعن به قسطنطين لتخلصه مما ينتظره من العذاب ثم تطعن به نفسها .

وتبقى حقيقة قسطنطين سنين طويلة : لا يعرفها احد حتى دنت ساعة « بازيليد » الاخيرة وراحت وهي في مرحلة الاحتضار تهذي بها حتى ادرك الناس ان البطل الشهيد ليس « برانكومير » بل قسطنطين الذي ضحى بوالده انقاذاً لوطنه وضحى بنفسه حرصاً منه على شرف ابيه .

٥

هذا ملخص تمثيلية في « سبيل التاج » التي نقلها الى العربية نثراً مصطفى لطفي المنفلوطي بصيغة رواية ، ثم حليم دموس بصيغة تمثيلية .

لكنها الخوري حنا طنوس لبنن تمثيلته : وجعل لبنان مسرحاً لوقائعها وحوادثها ، وادخل عليها من عناصر المفاجآت ما جعل خاتمتها اروع من مسرحية في « سبيل التاج » وابعد مرمى واعمق مغزى .

الفصل الثالث

نصف الليل ، فوق جبل الارز
« مالك يأخذ مكان الرقيب ليعطي الاشارة الخاصة الى الاعداء ليدخلوا
لبنان ويتسلم هو الامارة — ابنه قسطنطين آتٍ ليمنعه ... »

مالك : (يلحظ رجلاً قادماً بين الصخور) يا للعجب . فمن هذا المتقدم في الظلام (بالتاني وبحدة) . ايها الجواس . العاس بهذا الليل ، ان خطوت خطوة فلك الويل .

قسطنطين : (يدنو) سكن ما بك يا ابي . فما امامك الا ولدك .

مالك : ولدي قسطنطين ؟

قسطنطين : نعم يا ابي .

مالك : ما اتى بك الى هذا المكان . وفي هذه الساعة ؟ وما بال شفتيك في رجفة . وجسمك في رعشة ، وما اتيت تصنع هنا ؟

قسطنطين : وماذا تصنع انت بنفسك ؟

مالك : اجبني . فقد طفح كأس حلمي . وفاض وعاء صبري . ماذا اتيت تصنع هنا ؟

قسطنطين : اتيت لاقضي الواجب ، لاني مطلع على سرك . واقف على حقيقة امرك .

مالك : وما السر الذي تدريه ؟

قسطنطين : ادري بان العدى في الليل زاحفة — تريد تحتل غدراً قمة الجبل
ادري بان الرقيب اليوم يغدرنا — ادري بان ابي قد خان واخجلي
فجئت للنار ، رغماً عنك اضرمها — واطرح الصوت جهراً هيا بالعجل
فامنع الكفر والطغيان عن وطني — وانقذ الدين مع لبنان في عملي

مالك : (على حدة) يا لعدل الله (بالعالي) دع عنك هذا الجنون فهل طرأ عليك طارئ ؟

قسطنطين : بحياتك يا ابي دع عنك عار الكذب ، فاني سمعت كل ما دار بينك وبين حميك من الحديث .

مالك : (على حدة) يا للجحيم .

قسطنطين : لا والف لا ، ليس هذا ممكناً فقد خدعتني اذني ، وكذبتني عيني ، ولقد رأيت حلماً هائلاً . قد صدقت ، فان الجنون دهاني ، والخبل اعتراني ، فما ارتضيت بالخداع الا تظاهراً

وتخلصاً من ذلك الثقيل بل تلك حيلة منك لطيفة . فما انت هنا الا تزيد التحفظ والترقب . نعطي العلامة في حينها . فتضرم النار وينتقل اللهيب على قمم الجبال . فتهب الابطال للحرب والقتال . فتمحق جيش العدى محقاً . وتسحق رؤوسهم سحقاً . فايقظني من منامي . وانقذني من هول احلامي . وهيا لاضرام النار واشعال المشاعل فيستنير لبنان من نورها .

مالك : اذن انا متهم وابني في ريبة مني ، يتجسس حركاتي ويترقب اعمالي وارث اسمي وكنيتي . وحيدي ومهجتي . لا يخجل من ان يرمي اباه بالتهم ويقول في نفسه . ان ابي خائن غدار . لكن . متى احتمل الاب ان يتسمع الابن على منافذ بابه؟ ومتى اتخذتك لي مرشداً اتعظ بعظتك وانتصح بنصيحتك؟ ومتى حكم العبد على مولاه واشار الابن على ابيه؟ ومتى انقاد القائد لاوامر اصغر عبيده؟ فلا اتنازل اذن الى الجواب.

وما انا الا ان اقطب حاجبي فتنفذ مشيئتي ، واومئ بجفني فانال منيتي . فاعلم انه قد حسن عندي ان ابقى وحدي هذا المساء في هذا المركز. واما انت فتعود من حيث اتيت، وترجع الى مركزك باقرب الطرق واسرع الحركات ، فانصرف . ومتى حسن في عيني اضرام النار اضرمها فابن الخمسين ادرى بصالح الوطن من ابن عشرين ... لقد امرتك فابتعد .

قسطنطين: لقد صدقت اذني ، ولم تخدعني عيني ، ولست اذاً واهماً . فهنا محل الخديعة والساعة ساعة انجازها ، فلن اتزحزح عن مكاني .

مالك : وماذا تريد؟

قسطنطين: ان تستشط غيظاً فاني ازدري بالغيظ ، اذ قلبي بحبك يستعر
لولا المحبة ، ما اتيت مخاطراً حتى اصدك عن مرامك. فاعتبر

مالك : لا والله ، لا يكون هذا ابداً .

قسطنطين: فكر بامرك يا ابي واحذر ، وخيم العاقبه
فالله ينظر حالنا والنجم فوقك راقبه
اذ بان سرك يا ابي صوبت عيناً ثاقبه
فكرت فيما يقتضي حكم الفروض الواجبه

فرأيت ان اشكرك للاحـ كام دون موارببـه
لكن رأيت فظائعاً في حتنــا متعاقبه
عذر وموت مؤلم وابــن يخون اقاربه
مجـد عظيم يمحى ونجوم فضل غائبـه
والناس تلعن ذكركم من فوق خدك ذاهبه
وتحوم فوق رقادكم غربان شؤم ناعبـه
فابيت ان اشكر ابي فيرى الجميع معائبه
اترك بختك ما مضى واظهر بنفسك تائبـه
دعني اضرم نارنا واري المشاعـل لاهبه

مالك : لقد جئت آجلاً فتأسف الآن لأنك خلصت حياتي. فقد كان عليك ايها الابن الفاضل ان تشفي غليلك وتظهر اسرار ابيك وتشهره كيهوذا الخائن فيذبح نصب عينيك: فبئس مـا فعلت فقلبك ضعيف يتساءل ويتردد، اما قلبي فذو عزم وحزم فلا ينوي عملاً الا انجزه. فمن لا يتلافى الامر عند اوله لا يمنعه عند آخره. لا اسمح لك ان تمس الحرقة.

قسطنطين: اتغدر لبنان؟ اتخون الوطن؟ .

مالك : كان الوطن ناكرًا جميلي متناسياً فعائلي.

قسطنطين: وربك، الا تخاف صواعق غضبه؟

مالك : وحق حسامي، اني لاحصلن الملك شاءت الدنيا ام ابت.

قسطنطين: لربما. لكنما التاج عريض على جبين الخائن: فخف يا ملك لبنان ان يسقط عن رأسك فيصبح طوق حديد في عنقك.

مالك : ابلغت بك القحة الى شتمي: فقد توغلت في السفه والجنون.

قسطنطين: آه: لقد أخطأت فسامحني: وأسأت اليك فاصفح عن اساءتي: لا ادري ما اقول... فمن ادعو وبمن الوذ؟ فالي يا ذكرى الحروب السابقة: يا ليـالي الانتصارات السعيدة ويا رايات النصر العديدة: الي يا يوم خلصت به ابي من براثن المنية: الي يا قبلاته الابوية: الي يا هتاف جنوده المظفرة ويا اكاليله المضفرة: يا مجده القديم: يا عزه السابق: ويا فخره العالي: ويا كل عظائمه الماضية: انتصبي امام عينيه وبيني له فظاعة ما هو متقدم عليه: قولي له: ان

رايات النصر المنصوبة على شرفات لبنان تود اليوم لو تمزقت ضرباً على وجهه .

قولي له . ان جنوده التي ماتت في ساحة القتال تقشعر عظامها تحت التراب وتهتف من بطون الارض بصوت هائل .

الويل للخائن . لا . لا يا ابي فانك لا تصل الى هذا الحد من الذل والدناءة . فلا تجعل اسمك المبارك ملعوناً ومجدك السامي في العار مدفوناً (تركع) .

بحقك يا ابي . لا ترتكب هذا الشر الفظيع . ارث حال ولد على قدميك . ارفق بدموعي المنهملة . انبذ وراءك هذا الفكر الفظيع . واطرحه في نار المشاعل . فتحرقه وتنشره مع لهيبها . فتذريه رياح الليل كالهباء .

مالك : كفى فانبض .

حلفت بحق الشمس والارض والسما ورب الملا طراً وكل الابالس

اني اطلب التاج والصولجان . لأثأر من ذلك الشعب العقوق .
فغيظك لا يجديك نفعاً . من ينشل فريسة الاسد من مخالبه .
لا توسل ولا تنهد . لا تحسر ولا تبدد . فقد قضي الامر .
واعلم يا صبي . لا يمكن اشعال النار وانا حي .

قسطنطين : حي . فيا لكلمة لفظتها ! حي . فيا لفكر فظيع دار في خلدي .

مالك : اني لا ادري ما تقول . افتحب ان تراني ميتاً ؟

قسطنطين : اقول . لولا سكوتي لمت شر ميتة . وانك باصرارك الآن تستحق موت الخائنين .

مالك : ماذا تقول ؟

قسطنطين : لقد ضاع الوقت سدى . وكاد يصل جيش العدو . وما اتممت واجبي .

مالك : واي واجب ؟

قسطنطين : ان تشبثت بعنادك تضر بلادك . فلا يبقى لي حيلة الا في حسامي .

مالك : حسامك ...

قسطنطين : هذا الحسام الذي رد عن جبينك الموت . هذا الحسام الذي

لا يعرف غير المجد والانتصار . رآك اليوم الخادع الغدار .
تخون الوطن ولا تبالي . فرقص في غمده وقد امرني بان اكون
لك قاضياً وجلاداً (يسل سيفه) .

مالك : (يسل سيفه) هوذا حسامي فلا يهاب حسامك .

قسطنطين: اني اذود عن حوض الوطن والدين . وادافع عن شرف اجدادي.
وانت تقتل ولدك لتخون بلدك . ليحكم الله بيننا ويفصل :
فالموت للخائن ...

(يثب قسطنطين على ابيه فيشتبك السيفان برهة ويطعن قسطنطين اباه فيسقط .. »

قسطنطين: آه . وارباه ماذا صنعت .

مالك : حلت عليك اللعنات يا قاتل ابيك.

قسطنطين: الى العلامة الى النار قبل كل شيء (يأخذ المشعل ويرميه بمحرقة
فتشتعل ويسمع للحال دق الاجراس وترى الاضواء وتدق الطبول) .

يا عين ربي في الظلام المرجف انت الشهود ايا نجوم فأنصفي
فامـــام جثة والدي ومشاعلي ألقي اليك اللحظ دون تخوف
واريك نفسي يـــا نجوم نقية من كل تدنيس بهذا الموقف
قد كاد يهلكنـــا ابي فقتلتــه انت الشهود ايا نجوم فانصفي

الفصل الرابع

المشهد الثاني

(قسطنطين وحده يتقدم بتراخ ووجهه مصفر وهو غائص في تخيل وحزن)

انا موقن من امري ؛ فلقد احسنت في عملي اذ لم يكن بد
من الفتك بابي وكان قتله حتماً علي ؛ فمن اي اثم ازكي
نفسي ؟ امن صنيعي ما ينبغي ، من يؤثمني ؟ لا احد . فليس
من الصواب ان اصفر ؛ وليس من الحق ان ارتعش ... فكان
من حقي المحاكمة ومن حقي كان الاقتصاص من الخائن .
غير ان ذكر هذا الفعل يرجفني ؛ فان لم اكن جانياً جناية
فلمَ يتصبب العرق البارد على جبيني المصفر ؟ وعلام لا اجسر
ان انظر الى يديّ ولماذا احسب الماء نجيعاً والخمر دماً ؟

اثم فظيـــع امامي كان مرتكبا فقر من غمده سيفي ، وما احتملا
انقذت ديني واوطاني ، وفي عملي ازحت بالسيف عن لبناننا الخجلا

قادت يميني ذراع الرب اذ ضربت … شهدت نجم السما . فاستصوب العملا
يحل قتل الضواري في شريعتنا … قتلت وحشاً ولكن والدي القتلا
اني قتلت ولكن كي اخلصه … من وصمة العار بيننا انقذ الجبلا
ان كان يعلو جواد العز منتصراً … وتضرب الناس في اعماله المثلا
ما ذاك الا لاني قد فتكت به … قبل المعاصي . وقد اخنيت ما فعلا
انا بريء . وقلبي لا يؤثمني … لكن قتيلي امامي شخصه مثلا
اني ارى دمه المسفوك يهتف بي … في كل حين . فيلقي في الحشا الوجلا
يدوي صداه مدى الايام في اذني … يا من اباه . بنصف النيل قد قتلا
انا بري ولكن لم يعد امل … لي في الحياة : فعيشي المر قد ثقلا
اسعى وراء المنايا في معاركنا … ولست ادرك يوماً للردى سبلا
والانتحار حرام في شريعتنا … ربي . امتني . فحزني في الحشا اشتعلا

المشهد الخامس

قسطنطين — واصاف

واصاف : (على الباب على حدة) كفاني تردداً : فلا بد من اقناع الفتى : ونيل مأربي .

قسطنطين : ماذا تريد مني ؟

واصاف : اراك يا قسطنطين مصرًا على بغضي . فلا حزني ولا معاندة الدهر لك . ولا شيء اثر بقلبك : فانك منذ وفاة ابيك تتحاشى مشاهدتي : وانا مستغرق بسوء ظنك وقلبك ينفر مني لتوهمك بان البغض بيننا متبادل : وانا آتيك الآن لابدد غيوم الاوهام عن سماء خاطرك .

قسطنطين : انت : ...

واصاف : فيتبين لك اني اذود عنك طاقتي واحميك ما استطعت ؟

قسطنطين : وكيف ذلك ؟

واصاف : بتخليصي اياك .

قسطنطين : ومن اي الورطات تخلصني .

واصاف : (على حدة) الآن وقت التدرع بدرع الحزم والاقدام (بالتالي) الا تدري بأي الاخطار انت ؟ فان تهورك في المهالك : وانكسارك في المعارك ، اثار عليك سخط الجنود : وقد بلغ بهم ان رموك بالخيانة .

قسطنطين : خائن ... انا : ...

واصاف : وكأن الحوادث تثبت هذه التهمة الباطلة : فقد فتح العدو لبنان : واحتل الشرفات .

قسطنطين : (بصوت عظيم) آه .

واصاف : وقد طار الخبر الى كل الانحاء . فيا للامر الفظيع فلا تمر خمسة ايام حتى يصير لبنان في حوزتهم : وتحل الويلات على اهليه .

قسطنطين : لا وحق حسامي . لبنان في خطر وانا متقاعد : اليّ بالسلاح : اليّ يا جنود .

واصاف : لا يجديك الهتاف والصياح فجنودك عصاة لا يطيعون .

قسطنطين : أو يتجرأون (تسمع جلبة وضوضاء في الخارج وتستمر الى آخر المشهد) .

واصاف : اسمع هذا الضوضاء المختلط : فهذا صوت الجيوش تصيح عليك : فلا يطأ اميرهم هذه الاماكن حتى يرتفع في الجو صوتهم الهائل : الموت للخائن .

قسطنطين : يا للفظاعة .

واصاف : فنفسي الكريمة وحبي لك مع بغضك لي دفعاني اليك حاملاً وسائل النجاة لك ولبلادك .

قسطنطين : انت تحمل الي وسائل الخلاص ؟... فما ينبغي علي اذن فعله ؟

واصاف : ان تنجز العمل الذي فكر به ابوك .

قسطنطين : ... انا ؟ ...

واصاف : اعلم انه كان بجانب نار المشاعل ينتظر قائد الاعداء للمعاهدة .

قسطنطين : ماذا تقول ؟

واصاف : فلو لم يتزعزع عزمه لكان صار ملكاً قوياً مقتدرًا بدلاً من تمثال اعمى لا ينظر واصم لا يسمع .

قسطنطين : (على حدة) يا للذكر الهائل .

واصاف : اصغ يا قسطنطين . فاني اعرض عليك نفس الامر .

قسطنطين : اسمعي يا ارض وانصتي يا سماء (على حدة) .

واصاف : ان الصك لا يزال معي وقد شاهدت ليلة البارحة الجاسوس وحرضني على ان اعرض عليك نفس الامر ... فلا تغير في الصك حرفاً فهو موقع باسمك واسم ابيك .

(يسحب الصك من جيبه ويضعه امام قسطنطين) :

قسطنطين: ختم اسرة ابي الغيث : (يزداد القصف من الخارج) .

واصاف : اسمع هتاف الثائرين وتأكد انك ان لم ترض يحل عليك عقاب الخائنين : فكن اعقل من ابيك واثبت وافتح طريقاً للاعداء : وصالحهم فتصير ملكاً : وانا لا اطلب منك شيئاً الا ان اكون المقرب اليك . قل . اترضى ؟

قسطنطين: يا للدناءة . ويالسفاهة تفرق العقل . اتجسر يـــا سفيه ان تعرض عليّ نفس الخيانة . فعليّ الآن ان اشفي غليلي وابوح لك بسري .

واصاف : ماذا تقول ؟

قسطنطين: وانا ايضاً كنت عند نار المشاعل : امام ابي وحدي : وسيفي بيدي .

واصاف : انت ؟

قسطنطين: كنت عارفاً بدسيستك يا خائن : وكان ابي على وشك ارتكاب الخيانة الهائلة . فقتلته بيدي هذه .

واصاف : انت ولده . ...

قسطنطين: نعم انا قاتل ابي ، وانت وحدك سبب هذا القتل وذلك الفعل الهائل : وما يميتني هو اني لا استطيع ان اشهرك يا خائن واسود عرضك امام الارض والسماء : لاني ان اعلنت سري الرهيب : دنست عرض والدي : لكني اقدر ان اقول لك بفرح ممزوج بمرارة ، اني بددت غيوم اوهامك ، وقطعت حبال امالك ، واود ان يخترق نفسك الشنعاء سهم تأسف جهنمي اوجع وامر من الخنجر . واني ، اخذاً بثأر الطبيعة المهانة والشرائع المتعداة ، ارفع فوق رأسك يدي المدماة ...

واصاف : حذار . حذار .

قسطنطين: آه ... احببت العظمة والصولجان ، فانزلتك يدي الى احط دركات الهوان . قد خاب سعيك فاصرف حياتك بالاحزان والندم — (يثب الى الخارج) اما الآن فهيا للقتال .

واصاف : توقع شر انتقامي .

مسرحية العمران

لما طالت حرب البسوس التي أثارها جساس بن مرّة بين قبيلتي بكر وتغلب، نهض الملك عمرو بن هند وجمع بكراً وتغلب وأصلح بينهما. وأخذ من كل من العشيرتين مائة غلام من أشرافها. فسرح الملك في احد الايام ركباً من بني تغلب وبني بكر الى جبل طيّ في امر من اموره فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم احلاف بني بكر. فاذا البكريين يجلون التغلبيين عن الماء فماتوا عطشاً.

ولما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وطلبوا من بني بكر ديات ابنائهم، فأبوا اداءها. عندئذ اجتمع بنو تغلب لمحاربة بني بكر واستعد لمجابهتهم البكريون. وخشي العقلاء نشوب حرب ضروس بين العشيرتين فدعا بعضهم بعضاً الى صلح وتحاكموا الى الملك عمرو بن هند الذي ابى التقبول بهذه المهمة قبل ان يؤتى بسبعين رجلاً من اشراف بكر يجعلهم في وثاق عنده. فان كان الحق لبني تغلب دفعهم اليهم والا اخلى سبيلهم. قبلت بكر بهذا الشرط على ان يؤخذ من تغلب ابن سيدها ليكون رهناً الى ان يتم الصلح.

وكان ممثل تغلب سيدها عمرو بن كلثوم، وممثل بكر سيدها الحرث ابن حلزة. ولما كان لا يوجد لفريق بينة على الآخر اقام الملك الشعر حكماً وفاصلاً بين الاثنين. وبعد ان القى كل من الشاعرين قصيدته حكم الملك للحرث بن حلزة بالتفوق واخلى سبيل السبعين رجلاً بكرياً، مبقياً رهناً عنده زهير بن عمرو بن كلثوم الذي ابدى من سوء التصرف والعناد ما اغضب الملك فحاول تذليله ثم قتله. واخيراً يخلصه والده ويقتل عمرو ابن هند.

مقتطف من المسرحية

(الملك عمرو بن هند وحاشيته)

المشهد الرابع (الفصل الاول)

عمرو بن هند : (لجلسائه) من ترون تأتي به تغلب لمقامنا هذا؟

خالد : شاعرهم وسيدهم عمرو بن كلثوم اعز الناس.

عمرو بن هند : فبكر بن وائل؟

خالد : لا تفرج بكر بن وائل الا عن الشيخ الاصم يعتز في ربطته تيهاً، فيضعها على عاتقه، اعني الحرث بن حلزة.

عمرو بن هند : من افضل السيدين؟

خالد : اخسرت افخر العرب . وعمرو بن كلثوم اعز العرب نفساً . واكثرهم امتناعاً . وانقاهم حسباً .

عمرو بن هند : هل تعلمون احداً من العرب تأنف امه من خدمة امي ؟

خالد : نعم . ام عمرو بن كلثوم .

عمرو بن هند : ولم ؟

خالد : لأن اباها مهلهل بن ربيعة . وعمها كليب بن وائل اعز العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه .

عمرو بن هند : وهل تعرفون احداً من العرب يأنف من ان يخضع اليّ متذللاً ؟

خالد : عمرو بن كلثوم .

عمرو بن هند : سوف تعرف عزة آل كلثوم بعمرو وابنه زهير .

من المشهد الخامس

(عمرو بن هند ، عمرو بن كلثوم مع قومه ، الحرث بن حلزة مع قومه. بعد ان التقى عمرو بن كلثوم والحرث بن حلزة قصيدتيهما)

عمرو بن هند : لله در ابن حلزة . مدح عمرو قومه بالاقوال . وعظم الحرث ذويه بالفعال . انقاد ابن كلثوم الى عواطف القلب ؛ والعواطف ترمي الى المغالاة والاغواء . واستنار ابن حلزة بمصباح العقل ؛ والعقل يهدي الى الحق والهدى . التغلبي اصول واقول ؛ والبكري اعقل وافعل . عمرو في الكلام ابلغ وفي النظم أشعر . والحرث في اداء الادلة احذق ؛ وفي ترجيح الحجة أمهر . رصع التغلبي معلقته بضروب البيان من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه . ودعم اليشكري خطبته باصناف البرهان والتبيان من تبرئة وتأثيم وتذليل وتعظيم . ذكر التغلبي مآثر تغلب ومآثرهم فرفعهم ؛ ولم يذكر لبكر معايب فيضعهم . وذكر البكري مناقب بكر ومثالب تغلب فرفع بكراً ووضع تغلب . ادن مني ياحرث وصافح يدي يــا اشعر الشعراء (يدنو الحرث يصافح الملك) قد وهبت لك السبعين بكرياً الذين كانوا رهناً عندي ووهبت لك ولدك النجيب . واما انت يا زهير فتبقى رهناً عندي وفقاً للعهود والمواثيق .

(يتطاير الغضب من عيني عمرو ولكنه يضبط نفسه)

زهير : ركبت الشطط في حكمك ايها الملك وما انصفت .
عمرو بن كلثوم : تعديت طورك يا بني فالزم حدود الادب .
عمرو بن هند : لو لم يكن لك معذرة في حداثة سنك وشناعة في مكانة ابيك . وحرمة الجوار : لاقتصصت منك اقتصاصاً لم يقتصه ملك عادل من سفيه جاهل . وانت ما يدريك الشعر اي شيء هو ؟

زهير : نحن بني تغلب نولد جميعنا شعراء : ولا يسوغ ان يحكم بين الشاعرين الا الشاعر . ان شاعر تغلب جواد يجري في مضمار الشعر فلا ينقطع نفسه حتى يبلغ الغاية سابقاً . وشاعر بكر متقطع الانفاس يلهث عياء في الحلبة ولا يصل الى الغاية الا جاهداً سكيتاً .

ظليم : شاعر تغلب يقرع الاسماع ببهرجة الالفاظ والمباني . وشاعر بكر يملأ العقول بسديد الافكار والمعاني . شاعركم نسمع له جعجعة ولا نرى له طحناً . وشاعرنا نرى له طحناً ولا نسمع له جعجعة .

زهير : شاعرنا رجل بأس وحماسة : اذا استعرت في صدره نار الحمية اثار شرارها في صدور سامعيه : فنكروا كما يفكر : وشعروا كما يشعر : فكأنهم والشاعر كثيرون في واحد : بل واحد في كثيرين . فان طرب يطرب : وان غضب يغضب : وان فاخر يعجب : وان غالب يغلب . وشاعركم شيخ بردت همته : وجمدت حميته : فعمد الى الدهاء : والدهاء سلاح العاجز . فذكر احاديث مر عليها الدهر وانطلت حيلته على الملك عمرو .

ظليم : الى الحيلة والدهاء لا يعمد من كذب وفند . ذكر ابوك لقومه مفاخر ومآثر زاعماً واهماً : قائلاً لا داعماً . ففند ابي تلك المزاعم بايراد الحوادث والشواهد . ابي لم تخمد حميته . ولم تبرد همته : لكنه رأى نار الحمية الفارغة استعرت في صدر ابيك فصب عليها ماء التهكم البارد ليطفئها .

زهير : ابي تفسه ابية تأبى التمليق . فلم يتصاغر امام الملك متذللاً مادحاً مملقاً ذاكراً خدم قومه ، كما فعل الحرث . فلم تفضل الحرث ايها الملك الا لانه مدحك وذكر تجدات

قومه تقديمك . وذكر ابي ايضاً خذلان تغلب للملك .

ظليم : قوم بيك يخذلون الملك في جميع احواله . وقوم ابي ينصرونه في جميع اعماله . فأي القومين افضل عند الملك في رأيك ؟

زهير : لكن اين نفس الشيخ البطيء المتثاقل من نفس الفتى المتحمس . اين وقفة المؤرخ الجامد من وقفة الشاعر المتهوس . خبرت مخبر مسبب . واني منشد مطرب .

ظليم : ليس المقام مقام انشاد وطرب واعجاب . بل مقام اثبات وحجة وبرهان . وهل الحمية في مقامنا افضل ام الروية .

زهير : من جمع في شعره الفخامة والجزالة الى السهولة والسلاسة . الا تعلم ان الشعر صورة الشاعر؟ الا ترى نفس ابي مصورة في كل بيت من قصيدته؟ فقوة شعره شدة وقوة ؛ ومتانة التراكيب هي متانة عزمه .

ظليم : من جمع في شعره تفنن الشاعر وتروي الحكيم؟ الم تر في كل بيت من قصيدة ابي خبرة الشيخ المحنك وفطانة الحكيم المتروي ؟

زهير : من جمع في موضوع واحد شتات المعاني المشتتة وضمها الى معنى واحد؟ اي مزية يفتخر بها الاقوام لم تدخل في قصيدة ابي؟

ظليم : واي فضيحة تسب بها القبائل وتعير بها العشائر ، لم يلمح اليها ابي الحرث ؟

زهير : فقد حوت منظومة ابي القوة والجمال ، والفضل والكمال ، والحسب والنسب ، والنفوذ والاباء والكرم والخصال الشماء والشجاعة والاقدام ؛ وكل ما يعظم الاقوام بابدع الكلام .

ظليم : وخطبة ابي حوت عقلاً راجحاً ، وسهماً جارحاً ، وفخراً مادحاً ؛ وهجاء قادحاً .

عمرو بن هند : كل فتاة بأبيها معجبة . لقد اتيت يا فتى عن حسن بيان وبلاغة منطق . لكنك تطاولت الى ما فوق قامتك ، وارتفعت الى اعلى من هامتك . على ان حكمنا باق . تبقى رهيناً عندنا حتى يتبين لنا عز ابيك وفضل ذويك . اتبعني يا زهير .

زهير : ان رضي عمرو بذلك رضيت .

عمرو بن كلثوم: اتبع الملك يا بني، والله يفعل ما يشاء ويريد.

المتلمس : (وهم خارجين) هــذا رجل ثوري فعلي بحضور مظلومي ابن هند لديه (يخرج الجميع).

الفصل الثالث

(مقتطع من المشهد الرابع)

عمرو بن كلثوم: لبيك لبيك يا زهير. حياتي فداك. ورجائي لك. (يسحب سيفه) ومهندي في رقاب عداك. بل حياتي ورجالي ومالي وولدي لكم ايها العرب.

انزعي عنك برقع الحداد يا امة العرب. واخلعي من عنقك نير الاستبداد يا امة الاحرار. لقد حان تحرير العباد. وباد زمان الاستبداد. تصلح الحرية للعرب. والعرب للحرية يصلحون. حرام على الطغاة يستعبدون ملوك الصحراء وابناء السماء ونسور الفلاء. خلوا الفضاء لفارس الزرقاء. ما ابهى البدوي حرًّا على ظهر جواده. بشماله العقال وبيمينه البتار. يطير على سابح في بحار من رمال احر من جمر النار. يباري في جريه الرياح ويسبق النسور والعقبان. يطارد سباع البر ويداعب غزلان الغابات. حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء. خلوا الفضاء لفارس الزرقاء. ما اسمى البدوي حرًّا في الليل. يمتد جسمه فوق الثرى وترتفع همته فوق الثريا. يناجي البدر ويسامر الكواكب الطوالع. فراشه على رمال الصحراء وغطاؤه قبة السماء. يتلاعب بشعره النسيم ويبلل جسمه ندى الاسحار. ويطرب مسمعه حفيف الشجر وفحيح الحيات. يهزه صليل السلاح وصهيل الخيل زئير الأسد وعواء الذئاب، كما يعجبه شوارد الافكار في سكون الليل: وتراكم الاحلام في سبات النوم. حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء. خلوا الفضاء لفارس الزرقاء (يخرج).

المشهد السابع

(مشهد المحاكمة)

عمرو بن هند : بلغتكم سفاهة ابن عمرو. جاملنا الجاهل فما زاد الا جهلاً وحمقاً وجرأة. فما رأيكم فيه؟

خالد : نظر الملك في العواقب ابعد ورأيه في الامور اصدق . الا ان ارى ان يعاقب السفيه معاقبة تنهى الجهال وتروع السفهاء.

حرث : بئس رأيا رأيك فما عقلت وما عدلت . تغري الملك بابن سيد العرب . الحلم في كل المواطن ارفع وانفع ايها الملك . والعفو عند المقدرة اكرم واعظم .

خالد : الحلم يجرّئ العبيد على مواليهم.

الحرث : الظلم ينفر الشعب من الحكم .

خالد : ان عفا الملك ذهبت سطوته .

الحرث : اذا جار الحاكم تقلقلت حكومته .

عمرو بن هند : تحمي ابن خصمك يا حرث .

الحرث : بل احمي دولة الملك وامة العرب .

عمرو بن هند : ما على دولتي او امة العرب من قتل فتى احمق ؟ اليست في الرقاب اختلبها بمخلب انتقامي .

الحرث : لله ولاصحابها وليست للملوك الرقاب . اتق الله في عباده ابيت اللعن ولا تثر ثائر العامة . فالشعب رهيب في غضبه . ما الرياح العاصفات اذا ثارت تهدم وتخرب ما تلاقي على مهبها ؛ لا تبقي ولا تذر ؛ تنقض البيوت وتقلع الشجر . وما البراكين اذا فار فائرها والقت بحممها على المدن والقرى تدمرها وتلاشيها . وما البحار اذا هاجت وماجت بامواجها تغرق السفن في لججها ؛ اشد ضرراً من الشعب عند تغيظه وحنقه . الشعب رهيب في حنقه .

عمرو بن هند : مثلي لا يتخوف الشعب ولا يرهب العامة . العامة جماعات عميان معقودون الى حبل ؛ يقودهم بصير يسيرون خلفه حيثما سار .

الحرث : ولعل ابن كلثوم ذلك البصير .

عمرو بن هند : الشعب غابة تردد صوت مغن يتغنى في الليل ؛ وكيف يراجع هتاف هاتف وصراخ صارخ .

الحرث : وربما كان ابن ليلى الصارخ بهتاف الحرية .

عمرو بن هند : الشعب مطية يركبها فارس يشد بزمامها ويرخيه حسب هواه ويركضها على رضاه ...

الحرث : واذا جمحت المطية ؛ جنحت براكبها الى المهواة واردته صريعاً قتيلاً ...

عمرو بن هند : الشعب قطيع غنم لا عقل لها . يسوقها رجل واحد الى المسالخ فتساق . يصفر لها الراعي فتسمع . ويمشي امامها فتمشي وراءه لا تدري الى اين المسير .

الحرث : وما ادراك ان لا يكون الراعي ابن كلثوم .

عمرو بن هند : العامة صبيان لا يعقلون تزمر لهم فيرقصون وترقص لهم فيصفقون .

الحرث : افلا يكون الراقص عمراً ؟

عمرو بن هند : الشعب ظل الغالب وخيال المنتصر . يجعلون الحق بجانب التوفيق كيفما مال السعد مالوا . يخذلون اليوم من نصروا امس وينتصرون غداً من خذلوا اليوم . الشعب مع القوي الواقف على الضعيف الساقط .

الحرث : وربما قوي عمرو . وضعف عمرو . ووقف عمرو . ونام عمرو .

عمرو بن هند : كفى يا حارث تخوفني وتتشاءم . فلا بد من ارداب القوم باشد العقاب . لا يبلغ عمرو بن كلثوم ؛ مهما تطاول ؛ الى اعلى من قدمي . فوالله لخنصري اغلظ من متنه . وشمالي اجود من يمينه . ولاخمصي اشرف من رأسه ؛ وخطأي احدق من صوابه ؛ وصمتي ابلغ من كلامه ؛ وامي افضل من امه ؛ وخدمي خير من سراة قومه . فوالله لو هززت بيدي عصاي مات من عصاني . ولقد عرف الدهر بطشي فما عاداني . فما انا الا مقطب جبيني فترجف الجن في القطبين . ولسوف تعلم الاقوام من افضل العمرين . علي بزهير (يذهب جندي)

الحرث : وما انت صانع .

عمرو بن هند : والله لاجعلنه عظة للمتعظين وعبرة للمعتدين . الست انا السيد والعرب العبيد ؛ اصنع بهم ما اشاء واريد . ان حسن عندي امت . وان راق بعيني احييت . والله لاطأن بسنابك خيلي كل من لا يرى رأيي ويقول بقولي .

الحرث على رسلك ايها الملك . ان للعز سكرات كما ان للموت غمرات . وتلك السكرات يعقبها حسرات . اني عاهدت الله ونفسي ان لا اداهن في مشورة ولا اخادع في نصيحة . لا تبغ ايها الملك فان البغي وخيم المرتع . ولا تظلم فان الظلم

سيء المنقلب. لا تثر الضغائن بقتل البريء. ولا تنفر القلوب باذلال الرعية. فان في صدور العرب حمية تغلي مراجلها. تأنف من كل مستقبح. وان تحت الرماد جمراً: اخف نفخ يضرمها. واقل نسيم يسعرها. وان في طيات الصدور عقارب وحيات. فبنو غسان واقفون لك بالمرصاد. يتوقعون الفرص للوثوب ويترقبون الساعة لادراك الثأر. وبنو تغلب لا يصبرون على قتل ابن سيدهم. وهتك حرمتهم. لا تفرق كلمة العرب ايها الملك ولا تضعضع امرهم ارضاء لهواك. فان الهوى مطية: من ركب متنها يتعطب. ولا تزعزع اركان الملك لهفوة صدرت عن فتى دينه الشرف وربه العز. فحلم الملك اوسع وعدله اعظم. وان كان لا بد من التكفير للمهابة الملوكانية فدونك الشيخ العاجز فقد جاوزت التسعين ولم يبق مني خير ينتظر. فاهدر دم الشيخ الفاني. واصفح عن الفتى الهمام. فيسلم عرضك من سهام ملام. وتصون امة العرب من الشقاق والهلاك. وان كنت غير كفوء لابن عمرو فهاك ابني العزيز فاطعن صدره واتق شر البغي وعاقبة الظلم.

ظليم : هاك صدري ايها الملك فاطعن نحري واسفك دمي واصفح عن زهير.

⁂

مسرحية امير الارز

هذه المسرحية مقتبسة عن رواية «حبيس بحيرة قدس» للاب هنري لامنس اليسوعي؛ وتدور حوادثها حول انتخاب الامير رزق الله بن جمال الدين بن سيفا اميراً على لبنان. وكان مزاحمه على هذا المنصب ابن اخيه المقدم عبد المنعم الذي كان عالقاً بهوى راحيل التي اقترنت بالمقدم زين. ولما ضاعت من بين يديه الامارة، وفقد راحيل، راح يتآمر على لبنان مع «جوسلين» سيد قصر القليعة ساعياً لاشعال نيران الثورة على امير الارز وبث روح العصيان في لبنان.

وتنتهي الرواية بانتصار الامير رزق الله وبقتله جوسلين عدو لبنان.

مقتطفات من مسرحية امير الارز

المشهد الثامن من الفصل الاول

عبد المنعم – جوسلين – تنتاثيل

عبدالمنعم : خسرت الامارة وخسرت راحيل فماذا ارجو بعد من الحياة فعلى الدنيا السلام .

(يستل خنجراً ... يريد أن ينتحر فيمنعه جوسلين وتنتاثيل)

جوسلين : رويداً وأرد لك الامارة .

تنتاثيل : رويداً وأرد لك راحيل .

عبدالمنعم : كلام فارغ لا طائل فيه ومواعيد عرقوبية . وكيف تردان علي امس الدابر والدهر الغابر ؟

جوسلين : بالخداع والدهاء والتحريش بين الصدور وتهييج الاجانب .

تنتاثيل : اما انا فبالحيلة والمكر والعرافة والسحر .

عبدالمنعم : خابت كل اماني : وحبطت كل مساعي : ولم يبق لي حيلة الا بهذا الخنجر .

(يحاول ان يطعن به صدره فيثب عليه جوسلين وتنتاثيل قائلين) .

جوسلين وتنتاثيل : لا تفعل لا تفعل .

(يرخى الستار)

من المشهد الاول (الفصل الثالث)

جوسلين وتنتاثيل وعبد المنعم

جوسلين : هات ما عندك من الاخبار يا تنتاثيل .

تنتاثيل : قامت قيامة العرب ، وثار ثائر الشيعيين في البقاع ، وهاج هائج النصيرية في الضنية ، فقد ابلغتهم رسائل السيد جوسلين وقد حوت ما حوت من تحريش بين الصدور على امير الارز وتنفير القلوب منه ... وقد شرحنا اوفى شرح وابنت ما جاء فيها من شرهه وطمعه وطموح نفسه الى بسط سلطانه ونشر لواء الارزة ليس فقط على الجبال والهضاب والبطاح والسهول الممتدة بين اللبنانين الشرقي والغربي من جبل اللكام الى جبل الكرمل ومن وادي العاص الى ما وراء الليطاني وهي حدود لبنان الطبيعية ، بل يحاول ان ينتزع ما تصل اليه

يمده من ارض سورية الى لبنان . فاقام هذا الخبر القوم واقعدهم فهاجوا وماجوا وضجوا وعجوا وراح رائحهم وغدا غاديهم وتعاهدوا وتواعدوا وتكاتفوا وتأهبوا للقتال وتألب جمعهم غير بعيد عن دير الاحمر وهم متحفزون للزحف على الارز ومباغتة الامير في عقر داره .

عبدالمنعم : وما عدد المقاتلة ؟

تنتائيل : يربو على العشرين الفاً .

عبدالمنعم : فلا غرو ان الكفة الراجحة في جانبهم.. غير ان اللبنانيين آساد حرب ورجال ضرب فلا يساقون الى الذبح كالحملان .

جوسلين : الكثرة تغلب الشجاعة .

عبدالمنعم : فان قوي التحالف على لبنان فما يكون مصيره ؟

جوسلين : تصير الامارة اليك .

عبدالمنعم : وما يكون مصير عمي وزين ؟

جوسلين : يقتلان شر قتلة .

عبدالمنعم : أتوق الى أن اراهما صريعين يتخبطان بدمهما . فطالما دبرت المكايد لعمي الامير لاستقل بالامارة ؛ وخصمي اللدود لاستبد براحيل ؛ فحبطت كل مكائدي وذهبت مساعي ادراج الرياح... فما الحيلة لاهلاك زين ؟؟ فما زال هذا الخصم حياً فلا حيلة لي براحيل .

جوسلين : نار الحرب المستعرة تلتهمه ؛ ورحاها الطاحنة تطحنه . فلقد تدبرت مع تنتائيل كل وجوه الحيل والتدبير للتخلص من الامير والمقدم والحبيس .

المشهد الحادي عشر

عبد المنعم . جوسلين . تنتائيل

تنتائيل : ما احسن بختك واسعد حظك يا جوسلين فما انت فاعل ؟

عبدالمنعم : فما انت صانع ؟

جوسلين : اني اصنع ما يرقص له ابليس طرباً ويبكي له الملاك غماً . اني شانق مالكاً ؛ وعاقداً مجلساً يؤتم الاب يوحنا الحبيس ويفضحه ويصمه بكل وصمة عار ويحكم عليه بالنفي المؤبد في مكان لا يعلمه الا الله وجوسلين ، واضرم النار في دير

مرت تقلا فتلتهم الدير والكنيسة والمكتبة . انا جوسلين وأوين لمن يعاند جوسلين .

انا جوسلين نار من جهنم . وفي صدري لهيب البغض مضرم
امير الارز لا تطلب صراعي ولا تعجل باذلالي فتندم
فليث الغاب ان تحرجه يخرج فويل للملا ان هيج ضيغم
فأنت أيـا فتى حطب لناري وهل حطب من النيران يسلم
فهذا اليوم من ايام سعدي بهذا اليوم من اعداي انقم
هلم معجـلاً يا يوم ثأري فيوم الثأر في عيني معظم
يقول الناس ما احلى هزارا بصوت الحب في الدنيا ترنم
ومـا أبهى مطوقة توافي مبشرة بسلم قـد تعمم
وسرباً من حمام في الاعالي حوالى خصمه علّى ودوّم
وما أسنى السنونو في ربيع تصرصر ثم ثرثر ثم حوّم
وما انقى النجوم بصفو ليـل تضيء سنا فيجلو حسنها الغم
وما احلى عيون الام ترنو لطفل نـائم بالمهد تمتم
وما اهنا الجلوس بقرب نهر على مرج بازهار منمنم
تسيـل مياهـه متدفقات وفوق الايك طير العز زنم
تروح وتغتدي متلفتـات ظبـاء جيدهـا فتن المتيم
فيصبح من يؤم النهر صبا بحب الظبية الحسناء مغرم
لقد غلطوا فما احلى واشهى نعاب البوم في قصر تهدم
وما ابهى غراب البين ينعى هلاك القوم في سيل عرمرم
وما احلى الغيوم السود تهمي بطوفان يغرق نسل آدم
وقعقعـة الصوارم قاذفات جماجم تصبغ الساحات بالدم
وما أشهى فحيح الصل يسطو للسع قاتل اذ ينفث السم
امير الارز مهلاً في عناد فأنت اليوم يا مغرور معدم
ايا لبنان تبكيك البواكي فطير الشؤم في علياك خيم

مسرحية شهداء نجران

عبد العزّى يقدم على قتل عبدالله ابن الحرث ملك نجران بخنجر اخيه عبد شمس ليوقع الفتنة بين الملك وابنه . فما كان من الحرث الا ان غضب على عبد شمس لقتله اخيه لو الاشتراك بقتله ليؤمن لنفسه خلافة والده على سدة الملك فحرمه حقه بالميراث وبالملك لصالح ابن القتيل عبد المسيح .

حقد عندئذ عبد شمس على والده الملك وراح يثير القبائل عليه. وباغراء من عبد العزّى لجأ الى ذي نوّاس ملك حمير الوثني يستنجده على والده فلبى رغبته بعد ان جحد دينه المسيحي وسجد للمناة اله بني حمير.

ولما استولى الملك ذو نوّاس على نجران خيّر الملك وسكان نجران بين الكفر بدينهم او الموت حرقاً. تمسك النجرانيون بدينهم فاستشهد الملك الحرث وسبعون الفاً من النصارى.

مقتطف من المسرحية

المشهد الاول من الفصل الاول

في قصر الحرث ملك نجران

الحرث : (واقف) :

ايضمر لي دهري العداوة دائماً	ويمتحنني محناً بكل المصائب
يقولون لي : والدمع يحرق مقلتي	تسلَّ : ولا ترهب جيوش التجارب
فكيف التسلي والاسى يجرح الحشا	بسيف صقيل النصل ماضي المضارب
فجعت بعبد الله مجد عشيرتي	وفخر الملوك الامجدين الاعارب
وقاتله : وافجعتي يوم كربتي	اخوه. فيا رباه. ضاعت مذاهبي

(يسقط متلاشياً على كرسي . من شدة الحزن . وبعد سكوت مدة يرفع رأسه كرجل ينهض من سبات عميق).

قايين. كيف قتلت اخاك ؛ قايين ، قايين : اين اخوك ؟ ان صوت دماء اخيك صارخ الي من الارض ... يا عبد شمس يا ابناً عقوقاً ، جرعت ابـاك المرائر . (ينهض ويرفع يده نحو السماء) والآن : فلتهبط عليك من السماء (يرد يده بغتة ويحني رأسه مطرقاً) ولدي فبدل اللعن ولدي ؟ ... (يركع) ربي ، أسأت ، فقد عجل غضبي لهيب حزني . وها اني جاث امامك : مسترجع مقالي : مستغفراً عما فرط مني . فسامحني وليشمل عفوك ولدي . فلا تلعنه : كما لعنت قايين : قاتل اخيه . وعلى كل حال : لتكن مشيئتك : يا ذا الجلال : وليتقدس اسمك : ايها القدوس. (ينهض) لكن لم تنجل الحقيقة الى الآن . فعبد شمس اقسم وحلف مبرئاً نفسه من دم اخيه عبدالله انما خنجره المرسوم عليه اسمه : وجد ملطخاً بالدم : على جانب القتيل . وحين مات اخوه لم يظهر امارات الحزن والاسف ؛ بل ساقه الطمع الى ان حرك السماء والارض ، وهيج شعبي على الثورة ، ليحملني على ان

اتنازل له عن الملك ؛ واحرم ابن اخيه ؛ حفيدي ؛ عبد المسيح ... وانا حلفت على ان لا احرم صاحب الحق من حقه ابداً . ولا يصل بي الخبث الى ان اسلم تدبير مملكتي الى فتى جاهل يتقلب كيفما تقلبه الاميال والاهواء ونحن في ايام ضيقة ، واوقات حرجة . اسمع صوتاً (ينظر) هذا حفيدي عبدالمسيح مع مهذبه فيمون . انه آت الي كعادته قبل النوم فيعزيني بقبلاته الرطبة ويسليني باقواله العذبة واشعاره المنتخبة .

المشهد الثاني

الحرث ، عبدالمسيح ، فيمون

عبدالمسيح : (يدخل بفرح صبياني يتغنى)

شوقي ، وجدي ، روحي جدي عزّي سندي ، فرحي ، وجدي
حبي قلبي ، قلبي عربي نفسي تفدي ، روحي اهدي
ابلغ جدي اوج المجد

(يرتمي بين ذراعي الحرث مقبلاً يديه)

الحرث : (يقبله ضاماً اياه الى صدره) ولدي وروحي وبلسم جروحي !
عبدالمسيح : (يلمح الحرث باكياً) مالي اراك تبكي ، اي جدي ؟
الحرث : هذه دموع فرحي واستبشاري فيك يا ولدي .
عبدالمسيح : لا يا جدي ، فدمعك سخين ، وقلبك حزين ، ففي صدرك زفير الحسرات ، وعلى جبينك للغم علامات . فقل ما يؤلمك ؟ فقد هدت الاوجاع بدنك ، وذهبت الاحزان ببهاء حسنك وجمالك .
الحرث : طب نفساً يا ولدي وعش قرير العين ، ولا تغتم لشيء بل نم ناعم البال . (على حدة) ما اشبهك بابيك . ما رأيتك مرة الا ذكرته فتقطعت كبدي .
عبدالمسيح : قل لي ما يروق بعينيك فاصنعه . لعلي اقشع عن قلبك الهموم فيستنير وجهك بنور الافراح ... فهل تحب ان تمتع البصر بمشهد الفلك الدوار ، وتروح البال بضياء انوار تحاكي النهار فترى القبة الزرقاء ، والسماء الحسناء والنجوم تسطع ، والكواكب تلمع والبدر يطلع ؟
الحرث : لا تطيب نفسي بهذا .

عبدالمسيح : هل تطيب نفسك بالاشعار فانشدك ابياتاً في وصف ليلة طلوع القمر ؟

الحرث : قل ما احببت .

عبدالمسيح : وقبة بلور تلالى صفاؤها فزادت ضياء باللآلي السواطع
مرصعة مرآتها بجواهر تشع بانوار النجوم اللوامع
مصابيحها تملي النواظر بهجة تدور على الافلاك في حسن طالع
وبدر بديع الوجه . سام بحسنه يضيء كجدي كل هذي البدائع

الحرث : بورك لي فيك يا ولدي . فانت رجائي وعزائي .

فيمون : انشد ما حفظته اليوم في الدين النصراني .

عبدالمسيح : على دين المسيح سلام ربي فسد بالكون يا دين المسيح
فانت الشمس تطلع كل صبح تنير الناس بالنور الصحيح
فكم بددت من وجه البرايا دياجي الكفر بالقول النصيح
وكم خلصت نفساً من شرور وكم عزيت من قلب جريح
ايا دين المسيح علوت مجداً فما اسماك يا دين المسيح

الحرث : حييت لي يا بني ، ودمت عزاً لذويك . ومجداً لاسم ابيك. افتحب هذا الدين ؟

عبدالمسيح : فدتك المهج . اي جدي ومولاي . فكيف لا احب ، اعزك الله ، ديناً رضعت افاويقه مع حليب امي ؟

الحرث : واذا اثار علينا ذو نؤاس ملك حمير حرباً ، كما فعل بالقبائل وخيرك بين الموت والجحود فما انت فاعل ؟

عبدالمسيح : اختار الموت على الجحود .

الحرث : وان عذبوك افلا تكفر ؟

عبدالمسيح : فلو عذبت في جب قبيح ولو اودعت حياً في ضريحي
لما انكرت رب المجد يوماً وما اشركت في الدين الصحيح
انا عبد المسيح باذن ربي ومن يقوى على عبد المسيح ؟

الحرث : ما اسمى عواطف قلبك . فدم بني في هذه الشواعر الدينية ، والله اسأل ان يحفظ لسانك من الخطل ، وقدمك من الزلل. وامتعني بك المولى الحياة كلها .
واما الآن فعد الى غرفتك فقد دنت ساعة رقادك .

فهارس المشرق

للسنة الحادية والستين

١٩٦٧

فهرس اول

لمواد السنة الحادية والستين من مجلة المشرق ١٩٦٧

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الحادية والستين للمشرق

على ترتيب أسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية